النجف الأشرف

السنة السادسة عشرة - العدد ١٧٥ - شهر ربيع الآخر ١٤٤١- كانون الأول ٢٠١٩

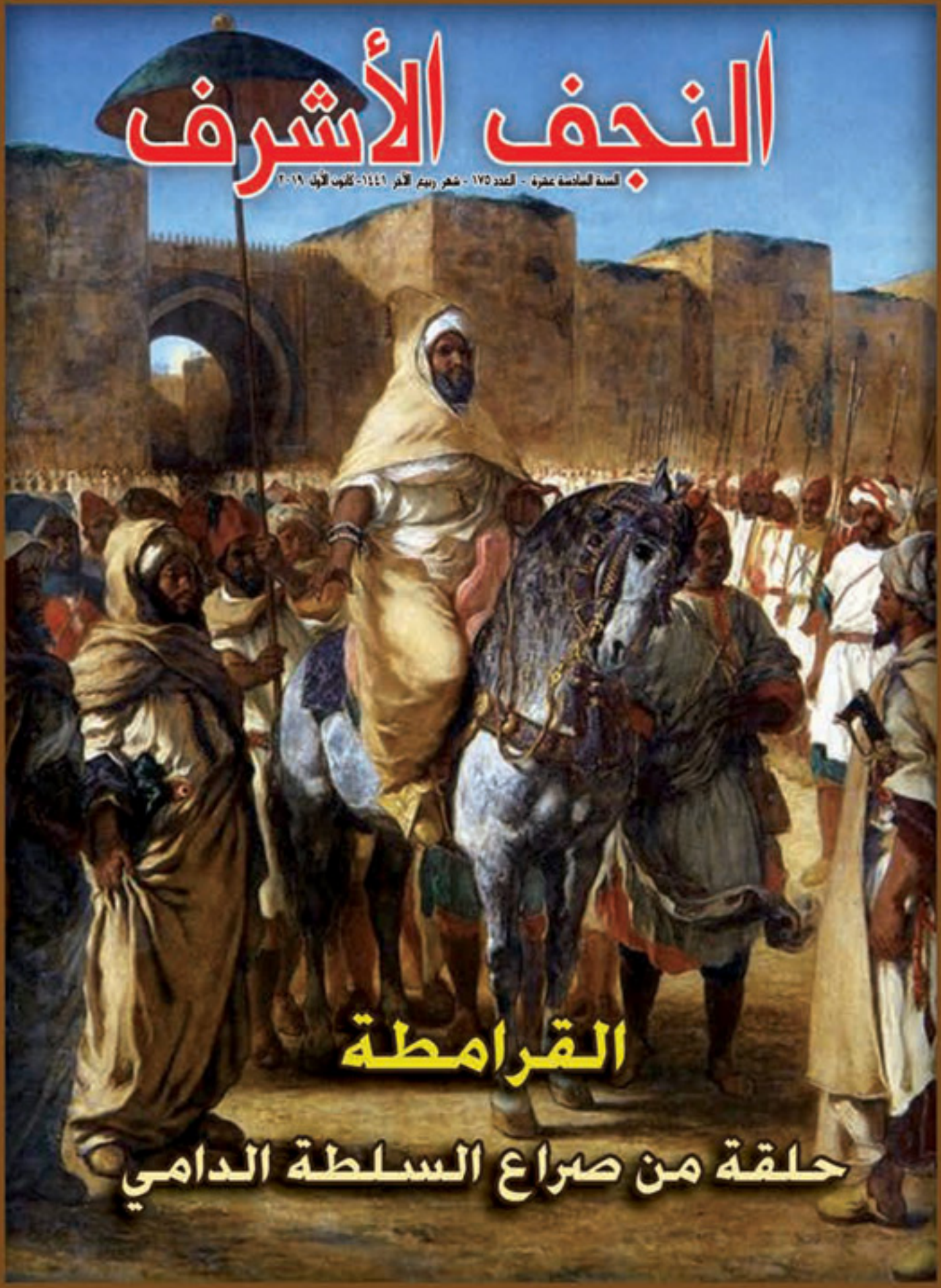

القرامطة

حلقة من صراع السلطة الدامي

16th Year Issue No:175-2019

شركة نور الكفيل

العلاقات العامة والمتابعة 07801966624
التسويق والمبيعات 07801966622

www.nooralkafeel.com

hq@nooralkafeel.com

الإنتاج صار عراقي

100%

غيث شُبَّر

طروادة لن تحترق !

وأخيراً استطاع العميل اليوناني «سينون» إقناع أهل طروادة أن يدخلوا ذلك الحصان ـ الذي بدا أزرقاً هذه المرة ـ كعلامة سلام بعد حرب ضروس سوداء إنتصر فيها حكيم الطرواديين، وما أنْ دخل ذلك الحصان تلك المدينة التي أثختها الجراح حتى انتشر جنود إسبرطة تحت جنح الظلام، كان الخطر محدقاً، والدمار قريب الوقوع، فقد اختلط حابل الناس بنابلهم.

هذا الحلم الإسبرطي ما زال يداعب مخيلات صانعي الحرب الغربيين، فإنْ تحقن إنساناً بالسم في احشائه أسهل من القضاء عليه باللكم والضرب، إنها الحرب النظيفة كما يعبرون، مع إنها من أبشع الحروب وأقذرها حيث تنعدم الشجاعة والفروسية ويختفي القائد.

لكن لطروادة اليوم حكيم مسن لم ينس مقالة الخوارج القديمة المحقة التي أرادوا بها باطلاً، فالقى كلماته السحرية، وضاع جنود إسبرطة المدججين بالأكاذيب بين فتيان طروادة المسالمين، وحينها منعوا كل غريب أن يقودهم شرقاً أو غرباً.

النجف الأشرف

العدد (١٧٥)
شهر ربيع الآخر ١٤٤١هـ

شهرية- اجتماعية - ثقافية - عامة - أُسست في ٢٠ نيسان ٢٠٠٣

رحلة ثقافية في ستين صفحة..

تصدر عن مؤسسة المرتضى للثقافة والإرشاد رقم الاعتماد في نقابة الصحفيين (٤٠٠) لسنة ٢٠٠٩

6 أنساق معرفية

السحر، الجن، التابعة، وغيرها من الكلمات التي يتداولها الناس مُشَكِلةً مواضيع يكتنفها الغموض والجذب مما جعلها لبنةً في ارثنا المجتمعي هوت به نحو التفكير غير المنضبط.

14 حكماء

قد تتسم الأفكار العامة التي طرحها هرقليطس ببعض الجدية في تفسير بعض التساؤلات الفلسفية، لكن غروره وازدراءه الاخرين جعله يغوص في بحرٍ من الجهل في الطبيعيات.

32 آلة الزمن

لبسوا لباس التشيع، بل ادعوا في أحيانٍ ليست بالقليلة انتسابهم لبني هاشم، لكنهم أوغلوا في قتل الهاشميين والشيعة، وارتكبوا مجازرَ قلَّ نظيرها من إبادة مدن بنسائها وأطفالها وشيوخها، ومثلوا أقسى حركة غنوصية إجرامية.

اتصل بمجلة النجف الأشرف

+ 964 780 779 0073

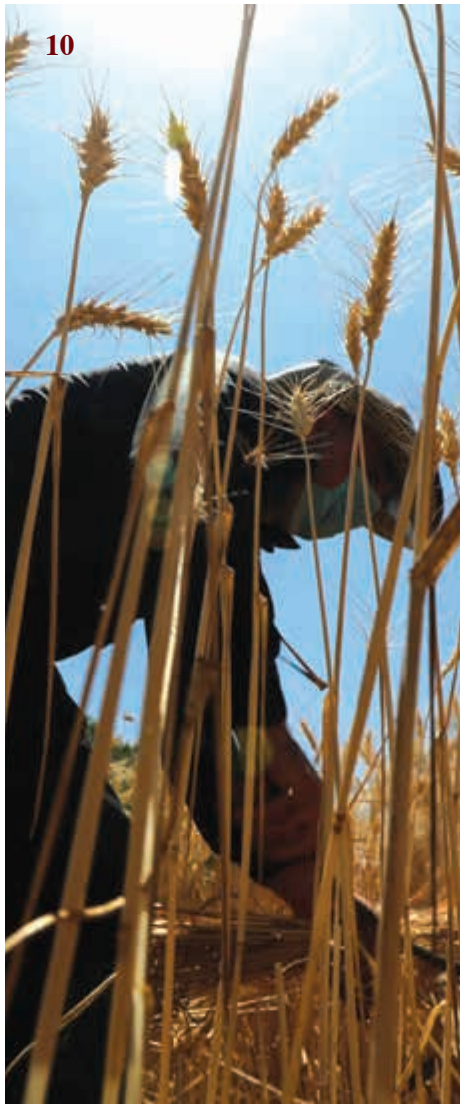

أبواب العدد:

- أنساق معرفية
- حكماء
- قصة قصيرة
- حديث الصورة
- واحة الدين
- آلة الزمن
- بانوراما
- فولكلور
- قراءة في كتاب

رئيس مجلس الإدارة

السيد محمد حسين العميدي

رئيس التحرير

ليث الموسوي

مدير التحرير

غيث شُبّر

المحررون والكتاب

عدنان الياسري — أ.د. صادق المخزومي

باسم الساعدي — سليم الجبوري

تحسين عمارة — موفق هاشم

حسن الجوادي

الإخراج الفني

مقدادغرافيك - سوسن المقداد - بيروت

مجلة النجف الاشرف

Website:
www.alnajafalashraf.net

www.alnajafalashraf.org

E.mail:
najafmag@gmail.com

P.O.Box: 365

مؤسسة المرتضى للثقافة والإرشاد
النجف الأشرف - نهاية شارع الرسول(ص)

إيمان بقضايا زائفة

بقلم: حسن الجوادي

حيثما وجد الجهل وجدت معه سائر الخرافات والأوهام التي تقعد الانسان عن تواصله في الحياة، بل أن بعضها تجره إلى التقاعس والركود والكسل، وبعضهم يجدها العذر الكافي للتوقف عن العمل أو الزواج والرزق الحلال، وكلما يتقدم بنا الزمن وتغدو الحياة أكثر مادية وقساوة تظهر الجهالات والخرفات المختلفة في مجتمعنا، ولعل من أبرزها السحر والجن والتابعة والعقد والنحس والربط والحرق والعمل والقائمة تطول في تعدادها، فنجد بعض الناس حين يصابون بشيء ما أو يحصل معهم أمر مخوف يذهبون إلى أشخاص يظنون أنهم اصحاب علم ودراية بمثل هذه الأشياء وأنهم يستطيعون أن يخلصوا الإنسان من الكوارث والمصائب التي تحل عليه، وهنا يقع الناس ضحية عدم التشخيص الدقيق، فإن كل إنسان يمر بحالات نفسية وأخرى مرضية عضوية، ولما تغيب ثقافة التشخيص يصبح من المتعسر على الإنسان العادي معرفة حالته وما تتطلبه من علاج فيذهب شمالاً ويميناً ولكل من هب ودب.

الحقيقة أن الفوضى والاوهام والخداع يبتكرها من يريد أن يتكسب تارة بحجرة وتارة بطلسم وتارة بعشبة لا تضر ولا تنفع، حتى أنهم وقفوا بذلك امام خبراء العشب واطباء النفس وصار بعض الناس حين يمر بحالة نفسية من كآبة وما شابه يخجل من مناشدة الطبيب أو الذهاب اليه وبعضهم يخجل من عرض حالته، لأن هذا الفضاء قد تشوه إلى حد ما، وكثرة حاجة الناس إلى الخلاص تدفعهم إلى التصديق بكل ما يطرحه العراف والكشاف وقارئ الفنجان، بل يعقدون الآمال عليه وينتظرون البركات أو النقمات طالما ان العراف اخبرهم، والأكثر معضلة أن هؤلاء الذين يشرحون للناس حالاتهم ومشاكلهم المستقبلية لا يعرفون بالعلم والمعرفة والتبصر في قضايا الانسان ويدخلون أنفسهم في مطبات خطرة للغاية، فتجدهم ينظرون في القضايا الدينية ويفسرون ما عجز عنه كبار العلماء والصلحاء والفقهاء، وهذا يدل على توغلهم الفوضوي في ميادين خارج إدراكاتهم ومنطقة أفهامهم، وتفصيل هذا الكلام فيه مرارة وغصة حيث ساهم في الخراب الثقافي للمجتمع والتراجع الكبير في الوعي أيضاً.

تنتشر مثل هذه الظواهر في المجتمع النسوي أكثر من المجتمع الرجالي، لأسباب كثيرة ولعل من أهمها هي

ثقة المرأة بالآخرين وقدرة هؤلاء على خداعها وسبب آخر هو كثرة المشاكل التي تعيشها والضغوط الاجتماعية التي تمر بها، فتجدها تبحث عن أمل في أي صوب وأي بيت وأي زقاق، والضغوط النفسية تدفع الانسان بعض الأحيان لارتكاب الممنوعات اذا شعر أنها توصله إلى نتيجة وتخفف عنه ما يمر به من أزمات.

لا شك أن كل ظاهرة ومشكلة اجتماعية أو ثقافية أو فكرية تجد لها عوامل وأسباب في ظهورها وتطورها وتكثفها في الواقع الاجتماعي ويمكن عد الأسباب التالية من العوامل والمؤثرات الاساسية في نشوء وظهور وتطور الايمان بالقضايا الزائفة والتوغل فيها:

١ـ ضعف ايمان البعض وعدم معرفتهم بحقيقة عالم الجن والسحر والشر، وعدم علمهم أن الانسان لا يمكن لأي مخلوق أن يقهره أو يؤذيه إلا بأذن الله، فكلما كان الانسان متمسكاً بالله عز وجل وبالشريعة السمحاء وملتزماً بأحكام الدين صار أكثر قوة أمام خرافات التابعة وما شابه.

٢ـ الكذب والدجل الصادر من بعض المنتفعين من جراء هذه الاعمال، فهنالك من يروج لهذه الاشياء في المجتمع ويبالغ فيها، فيظن الكثير من الناس أن ما يقوله من ألفه إلى يائه صحيح لا غبار عليه، في حين أن كلامه اما أن يكون كذباً أو جهلاً أو مصلحة من أجل المال والجاه والشهرة، ربما بعضهم لا يستلمون الاموال لكنهم يكتفون بالشهرة والجاه والسمعة والانتشار بين الناس وهي لا تقل أهمية عن جني المال والارباح.

٣ـ جهل بعض الناس بما يصيبهم، فقد يمر الانسان بأزمة نفسية حادة يظن أن سببها الجن والسحر وما شابه، ثم يجلس عند أشخاص فيشرح لهم ما يصيبه فيصورون له ما يمر به على أنه هلاك وأنه مرتبط بعالم السحر والشعوذة وما إلى ذلك فيتصاعد تفكير المريض فيتصور ما شك به على أنه حقيقة واقعية، ويبدأ الخيال بصناعة اشياء لا واقع لها، فيتوهم المريض أن ما يمر به سببه قوة كبيرة تقهره ولا يستطيع ان يتغلب عليها فيلجأ إلى هذا وذاك للتخلص منها، لكنه حين يرجع به الوعي يظهر أنه يمر بازمة نفسية وعلاجه الاستقرار والهدوء والرجوع إلى الطبيب وكثرة ذكر الله تعالى.

وهنالك من الناس من يمر بضائقة مالية واقتصادية فيتعثر أكثر من مرة في مشروع أو يصعب عليه أن يحصل على فرصة عمل تناسبه فيتوهم أن ما يمر به من فقر يعود إلى أشياء غريبة يسميها بعض الناس التابعة والجن والشعوذة، ويصدق له فكرته بعض الناس جهلاً وعناداً، فيمرر الشيطان بعض وساوسه اليه كي يتأكد أنه على الحق وما يقولونه صحيح على نحو الزم واليقين، وحين نعرف حالات الانسان التي يمر بها وكيف يلجأ إلى هذه الاشياء ندرك وهمها وعدم واقعيتها واليكم بعضها:

١ـ المرض: يتعرض كل واحد منا إلى المرض، ويصاب كل البشر بأنواع مختلفة من الامراض، وهي غالباً ما تكون جسدية وعلاجها مادي (كميائي)، وهنالك أمراض أخلاقية وسلوكية وعلاجها التهدئة والرجوع إلى الذكر الحكيم والالتزام بالشريعة والتبصر والفهم للحياة والدين، وحين يعجز الانسان عن التشافي بعد أن جرب وسائل عدة يلجأ إلى التصديق بهذه الاوهام، ولا سيما وأن أصحاب هذه الدكاكين يروجون بكثرة لسلعتهم.

٢ـ الفقر: يجد بعض الناس مبررات لعدم غناه أو رزقه، فيتصور أن هنالك عملاً صار معه في الخفاء جعله أسير البيت لا يجد لقمة العيش بصورة صحيحة، مما يعزز في ذهنه حصول تلك الاشياء الغريبة معه وهذا ممر من

ممـرات الشيطان التي ينفـذ بها إلى فكر الانسان وقلبه.

٣- الـزواج والانجـاب: مـن الموضوعات التي تؤرق الانسان وتشغل ذهنيته هو عدم الانجاب فبعض الناس لا يرزقون بأطفال ويعـود ذلك في غالب الاحيـان لأسبـاب وراثيـة أو صحية، فيتصور بأنه صار معه عملاً عطل انجابه وهذا التصور وهـم لا حقيقة له، وكذا موضوع الـزواج فبعض النساء يتأخرن في الـزواج أو قـد لا تتزوج ابـداً وهذا عامـل نفسـي واجتماعي يؤثـر عليهنّ ممـا يجعل العائلة تبحث عن أسباب غير واقعيـة، ويظـن بعضهـم أن هنالك من يعطل هـذا الامر ويدفعـه بعض الجهلة إلى المنتفعين من أجل حل هذه المعضلة، فيفسـرون بذلـك بتفسـيرات زائفـة وليست واقعية ولا صحيحة.

هـذه حـالات هامـة بهـا الانسان وهنالك غيرها الكثير، لذا من الضروري أن ينتبـه الانسان لحالـه والظرف الذي يمـر به ثم يعرف مشكلتـه بدقة ويعرف الأسباب التي تقف خلفها دون أن يلجأ إلى طريق الوهم والخرافة.

ومن يقـع في هكذا أوهـام عليه أن يتذكـر الله عـز وجـل وينصـت للحق ويقطع تفكـيره السلبي ويؤمن أن المؤثر في هـذا الوجود هو الله عز وجل، ومن ثـم يستغفـر الله من وساوس الشيطان الرجيـم ويتعـوذ بربه منه ومـن أوهامه التي يبثها في صدره، وقد يتسائل بعضنا قائلاً: اننا نجد بعض الأشخاص يعطون بعض الطلاسـم والأحراز ومـا شاكل ويجزمـون أنها تحـل مشاكلنـا وما نمر بـه من ظروف وأحـوال عصيبة، كيف نتعامل معهم؟ وهل نصدقهم في كل ما يقولون؟ وهل مـن الصحيح أن نذهب لكل من هدب ودب؟

إن مثل هـذه الاشيـاء تكون ضمن اختصاص أهـل الشـرع وليس كل مـن جلس ووضـع إلى جانبـه الكتب والبخور وما شاكل، هـم من يحدد أن هذه القضايا من الشرع أو من الخرفات، فالتصديق بكل مـن يتكلم بهذا المجال وهم لا حقيقة له، وقد وجه سؤال بهذا الخصوص إلى مكتب المرجعية العليا في النجف الاشرف ننقله حرفياً:

السؤال: شخص مـا يكتب الرقاع بالطلاسـم للمرضى ويأخـذ في مقابل ذلك نقـوداً ويكتب أيضـاً لطرد الجن، مـا هـو رأي سماحتكـم في صحتهـا وشرعيتها؟

الجـواب: ليس في الشرع دليل علي صحتهـا بالخصوص فـإذا لم يشتمل ما يكتبه على ما نهي عنه شرعاً و لم يلزم من عملـه هذا اضرار بمن يحـرم الاضرار به وكان لـه منفعة معتد بها عرفاً جاز اخذ الاجرة عليه.

نلاحـظ هنـا ان الجـواب يصـرح بعـدم وجود دليل على صحـة ما يفعله بعض الاشخاص مـن الكتابـة علـى الرقاع ومـا شابه ووصفهـا للمرضى، فهذه اجتهـادات شخصية لا علاقة لها بالشريعة لكن بعضهم يخدع الناس بأن اهل البيـت(ع) والفقهـاء يوصون بهذه الاشيـاء، فالناس تصـدق لظنهـم أنها مـن الديـن في كل تفاصيلها، فلا يقول الديـن أن هنالـك تابعة ومـا شابه ولا تخرج الا بالبخـور والطلاسم، كما ان هـذه الحركات والأفعـال لا تجدها عند أهل العلم والوعـي ولا تجد من الفقهاء والعلمـاء مـن يهتم بها، بـل يرونها من افعال الجهلاء لا أكثر.

مؤسسة العين

تُقدم بيانين كتابيين للأمم المتحدة في اجتماعات جنيف، ومؤتمر نيويورك

قدمت مؤسسة العين بيانا كتابيا إلى مجلس حقوق الإنسان (الدورة الحادية والأربعين) في جلسته الثانية المنعقدة في جنيف بشهر حزيران عام ٢٠١٩، أكدت خلاله حق التعليم وأهميته للأطفال اليتامى، وأنه أداة ضرورية لأي إنسان لتحفظ له مستقبله، كما سلطت الضوء على عمل القسم التربوي في المؤسسة في متابعة شؤون اليتامى الطلبة، مؤكدة التزامها بتوفير فرص تعليم لهم مدى الحياة، وعقد ممثلو المؤسسة اجتماعات مثمرة مع هيئات دولية عدة بما فيها مقرر الأمم المتحدة المعني بحق التعليم، وهيئة الأمم المتحدة للمرأة، إضافة إلى ممثل عن الاتحاد الأوربي، جرى من خلالها مناقشة فرص التعاون المتبادل بما يصب في صالح شريحة اليتامى والأرامل في العراق.

وعلى صعيد آخر، قدمت المؤسسة بياناً كتابياً آخر في جلسة الجزء رفيع المستوى للمجلس الاقتصادي والاجتماعي للأمم المتحدة المقام بشهر تموز عام ٢٠١٩ في نيويورك، جاء فيه الحديث عن موضوع «تمكين الناس وضمان الشمولية والمساواة» وأنه من أهم المبادئ الأساسية لعمل المؤسسة، إضافة إلى التركيز على أهداف التنمية المستدامة كضمان التعليم الجيد وسعي المؤسسة الدائم لضمان استمرار اليتامى في دراستهم، وتعزيز النمو الاقتصادي المستدام والشامل، وبهذا الصدد سلط البيان الضوء على افتتاح المؤسسة مركزا للتدريب المهني في مبنى الأنجم الزاهرة بسبع محافظات عراقية، المركز أنشئ خصيصا لتدريب اليتامى الذين لم يحالفهم الحظ في إكمال مسيرتهم التعليمية على حرف متنوعة في ورش المبنى المختلفة كورش (الحلاقة والطبخ والخياطة وصيانة الهاتف وغيرها) ومنحهم فرص عمل لمساعدتهم على تكوين مشاريعهم الخاصة، فضلا عن تدريس المهارات الحياتية والتخطيط المالي، وإعداد مشروع (القرض الحسن) لدعم الخريجين عند البدء بالعمل وتكوين مشاريع الإكتفاء الذاتي. هذا وقد أختتم البيان بالتأكيد على استعداد المؤسسة لبناء شراكات عبر المجتمع الدولي لتحقيق الأهداف المشتركة، والتعاون لحل المشكلات ذات الأبعاد الإنسانية التي هي أحد المجالات التي تركز عليها الأمم المتحدة بدرجة كبيرة. جدير بالذكر إن مؤتمر المجلس الاقتصادي والاجتماعي للأمم المتحدة يُقام مرة واحدة كل عام، وتعقد اجتماعات مجلس حقوق الإنسان ثلاث مرات سنوياً، ومن خلال هذه الاجتماعات تحرص المؤسسة على إيصال مظلومية يتامى العراق إلى العالم، وتأكيدها على الاستمرار في مسيرتها الإنسانية في خدمة آلاف اليتامى وأسرهم في البلاد.

موسم الحصاد
أو النْيَسان

بقلم: عبد علي الساعدي

مواسم حصاد الرز والحنطة والشعير في العراق سابقاً له تقاليده ونكهته الخاصة، التي لا يعرفها إلا من عاشها بتفاصيلها، وبعد دخول المكننة في الزراعة والحصاد صارت أكثرها نسياً منسياً، ولعل الجيل الجديد لا يعرف حتى مصطلحات موسم الحصاد، فضلاً عن جماله المخلوط بالتعب، بل أن جماله في تعبه، وسنتعرض ـ هنا ـ لأهم تلكم التقاليد والاصطلاحات، وسنخص الكلام على حصاد الرز (الشلب).

البداية

عندما تنضج السنابل ويحين حصادها ترسل المناجل إلى (الموشر) ـ وهو شخص له خبرة في سن المناجل، ويسنها بمبرد خاص يسمى (محد) ـ وفي يوم حسن يعرفه (الحاسوب) ـ وهو الشخص الذي يميز الأيام الحسنة من أيام النحس ـ يقوم أحد الفلاحين بحصد (باثة) ـ وهي حزمة من الزرع المحصود ـ تسمى (جديم) ـ أي أنه قدم الحصاد عن موعده من أجل اليوم الحسن ـ وفي يوم الحصاد يصطف الحاصدون بخط أفقي ويسيرون وهم يحصدون إلى أمامهم، وينفرد كل واحد منهم بطريق يسمى (ماط) ـ أي أنه أماط أو أبعد الزرع من أماهم بقصه ـ وكل قبضة من الزرع المحصود تسمى (شمال) ـ لأن الحاصد عادة ما يمسك سيقان الزرع من أجل حصاده أو قصه بيده اليسرى (الشمال) والمنجل بيده اليمنى ـ ومنها تتكون (الباثة) وتجمع (باث) التي مر تفسيرها.

الناگولات

عادة ما تقوم النساء، وإن ساعدهن الرجال في كثير من الأحيان، بجمع الحزم (الباث) المحصود وربطة بحزم كبيرة تسمى (كارة) ويحملنه إلى (المحلة) ـ مكان البيدر ـ والأعمال النهائية لفرز الحبوب عن القش، وتسمى من تقوم بالنقل (ناگولة) وتجمع (ناگولات)، واللفظ يذكر إن كان الناقل رجلا.

المحلة

يجمع الزرع المحصود في أرض تكون مرتفعة نسبياً ابتعاداً عن الرطوبة، وتسمى (محلة) ـ مر تفسيرها ـ وفيها

تجمع (الكوايـر) المنقولـة ويصنع منها (البيدر) ـ ولفـظ عربي فصيح ـ ويكون على شكل دائري.

الدياسة

الدراسـة وتسمـى (دياسـة) ـ أي يداس فيهـا المحصـول حتـى تنفصل الحبوب عن القشـ ـ فبعد أن تلقى رزم المحصـول من (البيـدر) علـى جوانبه بشـكل دائـري (ويسمى هـام) تصعد عليه الحيوانات المصفوفـة بشكل أفقي وتسمـى بمجموعها (مـدار) أي تدور علـى (الهـام) كي تدوسـه وتكون من خمسة حيوانـات ولها أسمـاء فالأول من جهـة البيدر يسمى (العين) والأخير يسمـى (اللـواح)، وبعـد أن تنفصـل الحبوب يقش التـبن ويبعد عن الحبوب التي يسمى (دريخ)، ويلقى (هام) آخر، وهكذا حتى ينتهي البيدر.

البوه

يسمى تبن الـرز (الشلب) بـ(بوه)، ويشـد بحـزم تسمـى (كارة) وتجمـع (كوايـر)، والحبـال التي تستخدم بالشد تفتل مـن التبن نفسه، وعـادة ما يكون الشد ليـلا، لأن (الدياسة) تصعب ليلا، وكذلك يكون التبن رطبا بسبب الندى فيسهل ليـه، أمّـا إذا أرادوا الشد نهارا فأنهم يرشون التبن بالماء كي يسهل ليه.

الزبية

وهي وكر يصنع مـن كوايـر (البوه) عنـد طرف (گرگـدة) وهـي كومة من حـزم التـبن (كوايـر البوه) تجمـع على شـكل هرمي، وتكـون (الزبيـة) دافئة ومريحـة، ينـام بـه (الناطـور) أي من يحرس (المحلة).

الذراوة

بعـد إكمـال الدراسـة يأتـي دور التذرية وهي تنظيـف الحبوب وفصلها عـن القشـ الصغـير، وتسمـى هـذه العمليـة (الـذراوة)، والشخص الذي يقـوم بها (يـذري)، وتكون عـادة بآلة تسمـى (المـرواح) تشبـه إلى حد كبير (الفالـة) رمح صيد السمك، يحمل بها (المـذري) كميـة من الحبـوب ويقذف بهـا نحو الأعلـى فتنزل الحبـوب على مـكان مخصص وتكـون (الصبـة) أي المكان الذي تصب به الحبوب، ويفصل الهـواء القشـ ويبعـده عـن (الصبـة) فيتكـون (الشرجي) وهـو مجموعة من القشـ والحـب الخفيـف الـذي دفعـه الهواء، وسمـي (شرجي) أي شرقي لأن (التذرية) عادة تكـون مع هبوب الريح الغربية فيتجمـع القشـ والحب الخفيف عـن الجهـة الشرقية (للمصطـاح) وهو المـكان الذي يكـون فيه البيـدر وباقي اعمال الدراسة.

القسمة

وبعـد أن تتم عمليـة التذريـة تأتي أخـر عملية وهـي حسـاب المحصول وتقسيمـه، فيجلـس الشخص المكلف بالحسـاب أو القسمـة عنـد (الصبة)، ماسـكا بيده أداة الكيل وتسمى (چيلة) وتصنع من خوص سعف النخل، ويبدأ عملية الكيل، ومـع كل رقم يعده يذكر

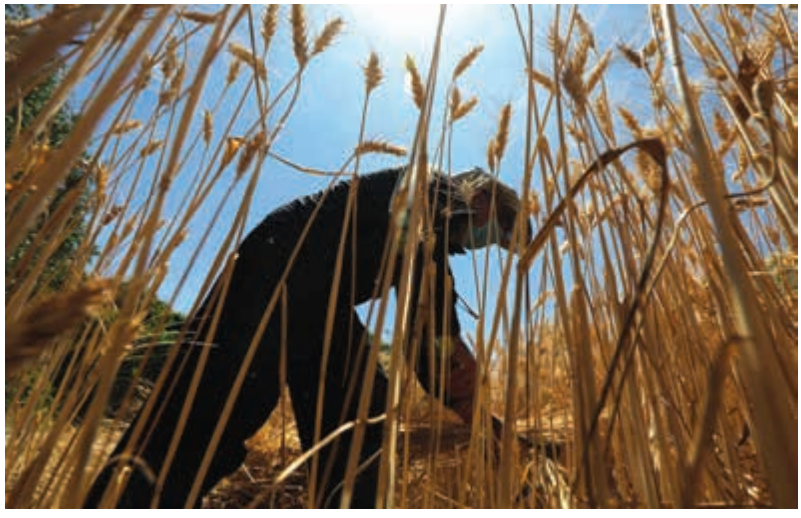

كلامًا مقدسًا، فعندما يعد واحد يقول: الله واحد، اثنين الحسن والحسين، ثلاثة الله المعين، أربعة تربح يامن تصلي على النبي (اللهم صل على محمد وآل محمد)، خمسة أهل الكساء، ست ستار الله، سبع...[1]، ثمان أمان، تسع تسعد يا من تصلي على النبي (صلوات الله عليه وآله).

كل هذه العملية تسمى (نْيَسان) نون ساكنة ثم ياء خفيفة مفتوحة ثم سين مهملة تلفظ بخفة وسرعة ثم ألف ثم نون ساكنة، وقد استعاروا هذا اللفظ وأطلقوه على أيام شهر رمضان ومحرم الأحزان وأوائل صفر، لمناسبة لطيفة وهي أنهم في الحصاد يجمعون محصول زرعهم، وفي هذه الأيام من الأشهر الثلاث يجمعون الأجر والثواب على عبادتهم ومواساتهم لآل البيت صلوات الله عليهم.

١ـ نسيتها و لم يتذكرها المصدر الذي استعنت به.

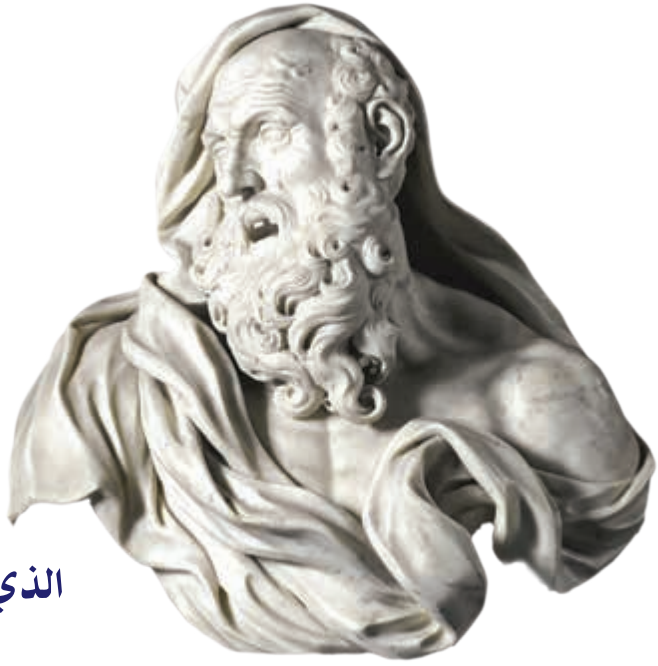

هرقليطس

(٥٤٠ ـ ٤٧٥ق.م)

الفيلسوف الغامض

الذي وحّد الخالقية وأخطأ تقديرها

بقلم: موفق هاشم عبيد

وُلد هرقليطس في أفسوس اليونانية لعائلة ارستقراطية ذات مكانة نبيلة في العام ٥٤٠ ق.م، وهنالك من يذهب إلى أنه ولد في العام ٤٣٥ ق.م ، وقد ورث هذا الفيلسوف منصباً سياسياً ودينياً مرموقاً تنازل عنه لصالح أخيه الأصغر، ويقال أنه برغم اعتزال هرقليطس السياسة إلا أنه كان يتدخل بين الحين والآخر في أمور سياسية يرى فيها أرجحية تدخله.

كان هرقليطس يميل إلى الانعزال والانطوائية، وكان متعالياً على الآخرين، سواء أكانوا من العوام أم من العظام من أبناء قومه، حتى فيثاغورس لم يسلم من ازدرائه الحاد، كان كثيرًا ما ينتقد القطيع، ويعتبر نفسه أنه مهمش و لم يعرفه الآخرون بسبب جهلهم له ولفكره، حتى قال مقولات صارت فيما بعد من أبرز الحكم العملية التي

يستشهد بها الناس في مواقف معينة، ومن أقواله تلك: «الحمير تفضل القش على الذهب»، «الكلاب تنبح على كل من لا تعرفه»، وقد عُرف عنه انتقاده الشديد للديمقراطية، انطلاقًا من مكانته الارستقراطية ونظرته للعوام فضلًا عن الكبار كما بينا.

ولقد تعدى هرقليطس بكبريائه إلى مستوى مبالغ به، حتى وصل به الحال إلى احتقار وازدراء معتقدات الناس ومعارفهم التقليدية، بل تهجم على هوميروس وهزيود رادا إليهما نشر التخلف والخرافات في المجتمع اليوناني، وقد كان يزدري أيضاً العلوم الجزئية، ويعتبر أن العلم الجدير بالاهتمام هو التفكير العميق في المعاني الكلية، الذي عبّر عنه في كتاباته بأسلوب غامض وفخم ومبهم، يميل إلى الرمز والإشارة والتشبيه، وقد قيل عن أسلوبه بأنه: «لا يفصح عن الفكر ولا يخفيه، ولكن يشير إليه»، ويدل على ذلك تلك الشذرات المئة والثلاثين التي وصلت إلينا من كتابه، لكن ازدراءه للعلم الجزئي أوقعه في اشكالية الجهل وانعدام المعرفة بالطبيعة، حتى هبط في هذا المجال إلى مستوى العامة الذين يمقتهم هو! ومن ذلك أنه كان يعتقد أن غروب الشمس يتم من خلال انطفائها في الماء!! وأن قطرها قدم واحدة كما تبدو لنا من الأرض!! لكن هذا لا يعني عدم الاعتراف بفلسفته العميقة التي خلّدت اسمه.

لم يسلم أحد من ازدرائه حتى فيثاغورس!

لم يصلنا عن هرقليطس شيءٌ مكتوبٌ بشكل مباشر، فما وصل إلينا كان بالواسطة عن طريق شذرات من كتاب له تناثر هنا وهناك في مؤلفات بعض المفكرين والفلاسفة اليونانيين القدماء، كان أسلوبه كما ذُكر سلفاً يميل إلى الغموض والصعوبة، حتى لُقب بالغامض تارة وبالمظلم تارة أخرى.

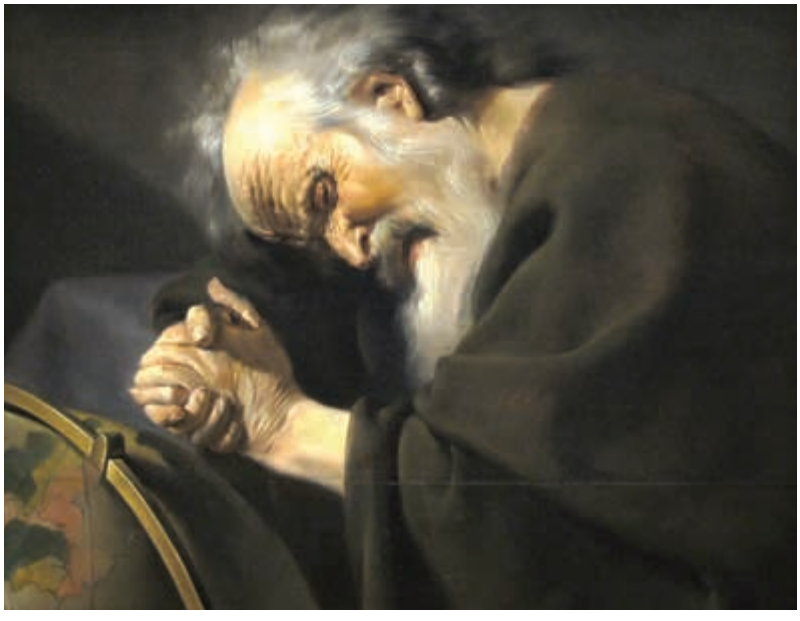

وقال سقراط عن كتابات هرقليطس بأن ما فهمه منها كان رائعاً، وما لم يفهمه رائع أيضاً، ذاكراً أن كتابته تحتاج إلى غوّاص ومتعمق حتى يلج إلى معاني أفكاره، تلك المعاني التي يشرحها ويعبّر عنها عن طريق أقوال مأثورة قصيرة مكثفة مركزة. وقد توفي هرقليطس في العام ٤٧٥ ق.م.

ويتلخص مذهبه في أن «الأشياء في تغير متصل»، ويمثل هرقليطس لهذا القول صورتان: الأولى في جريان الماء بقوله: «أنت لا تنزل النهر الواحد مرتين، فإن مياها جديدة تجري من حولك أبداً»، والصورة الثانية يمثل لها باضطرام النار، وهي أحب إليه من الصورة الأولى؛ لأن سرعة النار وحركتها أكثر دلالة على التغير،

مع جهله الكبير بمعرفة الأمور الطبيعية إلا أن أفكاره الفلسفية نالت إعجاب سقراط

إضافة إلى أن هرقليطس يرى أن النار هي المبدأ والعلة الأولى التي تصدر عنها الأشياء وترجع إليها، وهو يرى أن انعدام التغير يعني انعدام الأشياء، فالاستقرار موت وعدم! والتغير صراع بين الأضداد؛ ليحل بعضها محل بعض، إذ لولا المرض لما اشتهينا الصحة، ولولا العمل لما نعمنا بالراحة، ولولا الخطر لما كانت الشجاعة، ولولا الشر لما كان الخير، ويقول في هذا المجال: «أليست النار تحيي موت الهواء، والهواء يحي موت النار، والماء يحيي موت التراب، والتراب يحيي موت الماء، والحيوان يحيي موت النبات، والانسان يحيي موت الاثنين؟»، والوجود عنده موت يتلاشى، والموت وجود يزول، والخير شر يتلاشى والشر خير يزول، فالخير والشر والكون والفساد أمور تتلازم

وتنسجم في النظام العام، ولا يمكن مع هذا تحديد خصائص ثابتة للأشياء.

وقد اُختُلف حول تفسير فلسفة هرقليطس اختلافاً كبيراً، إذ ذهب أرسطو والقدماء إلى أنه كان من الفلاسفة الطبيعيين، معللين ذلك بنشأته في أيونيا موطن الفلاسفة الطبيعيين، إضافة إلى أن هرقليطس قد قال بأن النار عي العلة الأولى للأشياء، وهذا ما يعني أن اهتمامه كان منصبا بتفسير الكون والطبيعة، وهنالك بعض المحدثين ممن يتابع أرسطو في ذلك، كعالم اللغويات بجامعة كاليفورنيا الدكتور جومبرز، والى حد ما العالم اللاهوتي الألماني إدوارد جوتلوب زللر.

ويرى الباحث في التاريخ الفلسفي المصري يوسف كرم أن هرقليطس ينتمي إلى الفلاسفة الطبيعيين، من خلال رجوع الأشياء كلها إلى النار، وأنها في حالة تبادل مستمر معها، «فالمبادلة متصلة من الأشياء إلى النار، ومن النار إلى الأشياء، كما يستبدل الذهب بالسلع، وتستبدل السلع بالذهب»، وهو من الفلاسفة الذاهبين إلى وحدة الوجود موافقا بذلك فلاسفة ملطية الطبيعيين.

ويرى فريق آخر أن هرقليطس ليس من فلاسفة الطبيعة، بل هو متميز عنهم بكونه فيلسوفا ذي طراز خاص، إذ لم يكن مثل فلاسفة ملطا المتصفين بالنظرة العلمية، وإنما كان ذو نزعة صوفية فريدة.

وتختلف فلسفته أيضا عن فلسفة المدرسة الايلية، التي تذهب إلى أن الموجود الوحيد هو الوجود فقط وفقط، الوجود المتمثل بالثبات والذوات الساكنة التي نراها، وأن الصيرورة أو التغير لا وجود له، فكل صيرورة عبارة عن وهم وخيال، بينما يرى هرقليطس أن الأمر مختلف، فالصيرورة عنده هي الموجودة فقط، أما الوجود والذاتية والثبات فهي أوهام ليس إلا! فهو يرى أن لا شيء باق كما هو، بل كل شيء في حالة تغير وتحول دائم، يقول في ذلك: «نحن ننزل النهر ولا ننزل فيه، فما من انسان ينزل في النهر الواحد مرتين، فهو دائم التدفق والجريان»، بل ذهب هرقليطس إلى أكثر من ذلك عندما أنكر ثبات الأشياء النسبية، فلا شيء يبقى على ما هو، وظاهر الثبات النسبي وهم عنده، مثل ذلك مثل الموجة التي تمر على الماء التي نعتقد بأنها هي نفسها، في حين أن الماء يتغير باستمرار مع حركة الموجة، وهذا الشيء استجلبه هرقليطس على بقية الأشياء التي تتراءى لنا على أنها ثابتة، بينما الثبات للشكل فقط، أما في الحقيقة فهي في استحالة دائمة ناتجة من تدفق كميات متساوية من جواهرها، وكل شيء سيال ومتغير.

وقد جعل هرقليطس مبدأ العالم وخلقه - إن صح التعبير - يعود إلى النار، وقال في هذا الصدد: «هذا العالم وهو واحد للجميع لم يخلقه إله أو بشر ولكنه كان منذ الأبد وهو كائن وسوف يوجد إلى الأزل، إنها النار التي تشتعل بحساب وتخبو بحساب»، وهو على الرغم من نفيه لخلق الكون من قبل أي إله من آلهة اليونان المعروفة عندهم ومن

أي بشـر فقـد أرجع الخالقيـة إلى النار، وهذه النار ليست النـار المعروفة لدينا، بل هي نار معنوية غير مادية.

إن النظريـات الكوزمولوجيـة البدائيـة في مناطـق اليونـان أغلبهـا لم تكن تعرف مفهـوم الخلق من لا شيء، باستثناء مفكريـن اثنين تطرقا إلى ذلك، هما: الأول الشاعر اليوناني فيريكذيس السيروسـي، الذي أرجـع خلق الكون لذياس، والآخـر بحسـب مـا نقلـه ذيوغنيس ليرتيوس بـأن طاليس الملطي قال: «الكون العظيم هو من خلق الله»، و«الإله غير مخلـوق»، وبالتالي فقد جاء هيرقليدس بشيء جديد هـو: إن العالم قـديم و لم يخلقـه أحـد، رغـم إرجاعه

إلى المبدأ الأول (النار)، ولا تنافٍ بين القولين، حتى بعض فلاسفة المسلمين قال بقدم الكون رغم اعتقاده بالمبدأ الأول (الله) جل ذكره، ومثل ذلك كمثل الشعاع الصادر من الشمس، فمنذ أن وجدت الشمس وجد شعاعها.

ونلاحظ أن هرقليطس يشير إلى أن تحولات النار ستصل في وقت إلى أن تعلو فيه قائلا: «عندما تعلو النار على جميع الاشياء، فإنها سوف تحكم عليها وتدينها»، وهو بهذا يريد أن يبين أن العالم بدأ من النار وسينتهي بها، وهو «يهدف إلى التوحيد بين الإله والنار من جديد؛ لأنه يعتقد بأن وراء التغيّر البادي في عالم المحسوسات وحدة وائتلاف ينبغي علينا إدراكه».

ومن خلال ما ذُكر يظهر أن هرقليطس جعل من النار الإله الأعظم، وهي منتشرة في جميع المخلوقات والكائنات، وهذا المذهب جعله من الفلاسفة القائلين بوحدة الوجود، وهذا مذهبه في نشأة الطبيعة، أما مذهبه في ما بعد الطبيعة فقد أشار إلى الكون ليس على صورة واحدة، إذ هو في تحول دائم وصيرورة مستمرة، فكل لحظة يختلف الشيء عما كنا نعتقده في اللحظة السابقة، فكل شيء ينقلب من حال إلى حال آخر دائما، من غير أن تدوم على حال لحظة واحدة. وهو يرى أن العالم «كان أبدا وهو كائن وسيكون نارا حية تستعر بمقدار وتنطفئ بمقدار هذه النار هي الله».

وعلى كل حال فإن فلسفة هرقليطس فلسفة ينتابها الكثير من الغموض والإبهام، وهذا ما حدا بسقراط عندما سئل عن رأيه بكتاب هرقليطس أن يقول: «عظيم ما قد فهمته، ولكني أعتقد أن ما لم أفهمه كان عظيما أيضًا»، وأكثر ما يكون ذلك الغموض وتلك الإبهامات تلك التي تتعلق بآرائه في الإلهيات والخلق وما إلى ذلك، فمثلا مفهوم النار عنده جاء متعارضا ومتناقضا في كثير من آرائه، فقد جاء متداخلا في مواضع مع مفهوم اللوغوس، وفي مواضع أخرى جاء مختلطا مع مفهوم الإله، ووجدناه أحيانا قد وحد بين النار واللوغوس وذياس!

رد جميل

مهداة إلى الذين ارتقوا أعواد المجد وما بدلوا تبديلا

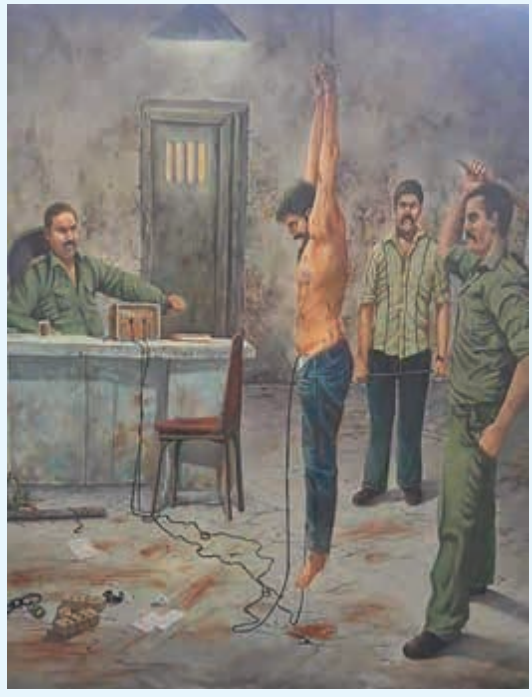

جميل أن يرى الشخص منا أهله وأصدقاءه حوله في النوائب يواسونه ويطيبون خاطره آخذين بيده لاجتياز المحن مهما كانت تلك المحن سهلة!

أدخلوني لزنزانة مكتظة بنزلاء من أعمار متفاوتة ..فيهم الشاب، والشيخ، والكهل... ربما كنت أصغرهم سنا حيث لم ابلغ ـ آنذاك ـ الحلم ... رحت متصفحاً وجوههم بعينين خجلتين سائلاً نفسي: كيف المبيت وسط هذا الحشد...ولا يوجد مكان حتى للاستلقاء على الظهر؟!..لكنني أجبت نفسي: إن هؤلاء سياسيون.. وكنت أظن حينها أن جميع السياسيين متدينون.. لأني لم أجالس إلا محيطي.. جلست القرفصاء واضعاً رأسي بين ركبتي .. فتذكرت شتائم الكلب الذي قادني حيث أنا.. وغلظة من اعتقلني .. ورحت حابساً نشيجي في صدري.. ولا أدري كيف عرف من كنت جالساً بجنبه بكائي فسألني هامساً، وهو يضع يده على كتفي مقرباً فمه من أذني:

ـ مم بكاؤك؟... تشجع..

شعرت بدفء يده وأنفاسه تداعب خدي... شعرت بحنانه يلفني ويأخذني لعالم غير ما نحن به... رفعت رأسي له.. كان شاباً في العقد الثالث من عمره.. رأيت في تقاسيم وجهه: انكساراً وصرامة.. انكسار من أجلي، وصرامة، حيث الموقف وتتطلباته.. هكذا قرأت وجهه.. أردت وضع رأسي على صدره وأنتحب.. أردت تقبيله لأني أبصرت به وجه أخي وهو يوصيني قبيل الوداع.

ـ لا شيء.. فقط أخاف التعذيب... أخاف الاعتراف.. فأنا أحب أخي ولا أريد له الإعدام.

ـ لا عليك.. سيأخذونك حيث الكِلّاب وسلك الكهرباء... تحمل.. عشر دقائق لا أكثر وبعدها ستحس بخدر لطيف ومن ثم تفقد الشعور بالألم .

ـ عشر دقائق؟.

ـ نعم لا غير.

كان بقربي كهل يدخن.

ـ عمو.. العفو أعطني عقب سيجارتك.

أخذته وأطفأته بساعدي.. صاح بي (الكهل):

ـ ماذا فعلت أجننت.

أجابه صاحبي الشاب، بل معلمي:

ـ لا... إنه يتمرن.

وجاء الجلاد وأخذني حيث الكِلّاب.. وأعادني كعصفور مزقته القطط.. سألني وأجبته مبتسماً:

ـ أدركت اللعبة!!.

ومر قطار عمرنا على سكة الآمنا مجتازاً محطات بؤسنا بحركة بطيئة مرة.. حتى شاءت الأقدار أن يتوقف بإحدى المحطات وأرى معلمي يرتقي أعواد المجد وحيداً بين خنازير وقردة وهم ينهشونه ويضحكون بشماتة...كان السحاب يتلملم حول الشمس حارماً البنفسج دفئها ... كنت اسمع أنين يحيى النبي(ع) وضحكات عاهرة... كنت أسمع نداء زينب(ع) وبكاء شاب بصري...صحت من خلف القضبان:

ـ سيد.... لا تخـــــف.... لست وحدك... أنا... مـــعـــك .. سيد أنظر إلي...

حول وجهه جهتي وهو يبتسم... كان معصوب العينين ويداه مقيدتان للخلف .. لوح لي بمنديل أبيض... ووضع رأسه على صدري.. كانت أنفاسه تداعب نحري.. خللت أصابعي بشعره وهمست:

ـ عشر ثوان لا أكثر.. فالرواح حيث الأحبة!!.

ثم قُصفت الأرض برعد وهبطت ملائكة الله كالمطر حاملة المقامع.. رافعة معها النسرين والبنفسج... وتزينت الحور.. وطردت الأنهار.. وفُتحت أبواب الجنان.

القاص : عبد الحسين النارسي

زارع الورد

مهداة إلى شهيد حادثة المحيط (قيس) وجميع من رافقه رحلته الأبدية...

كان في بلادي شاب يدعى (ابن علي) هذا الشاب يختلف عن جميع أبناء سنه بالتفكير والتصرف؛ فأبناء سنه كان همهم الوحيد التسلية، أما هو فهمه: حراثة الأرض وزراعة الورد... وكان في قانون بلادي المؤقت فقرة تحظر زراعة الورد وتعتبر مجرد التفكير بها جريمة تعاقب عليها.. والعقاب كان دفن من يزرع أو يفكر بالزراعة بدل البذور.

ووشته الوشاة عند السلطان فأرسل زبانيته لكي ينفذوا به القانون الذي يرونه عادلا!! لكن ما وجدوه لأنه فر بجلده؛ فر لبلاد الشرق وكان يعزي نفسه بأنه: قد فعل ما بوسعه وسيتمتع بورود هذه البلاد ريثما ينبت الورد في بلاده... لكنه وجد الورد في بلاد الشرق ذابلا ولا يحمل أي عطر، عكس ما كان يتصور تماما.. فقرر أن يصير رحالة ويجوب المعمورة مستكشفاً ـ لا لكي يجد جزيرة جديدة يضمها لخريطة العالم أو لكي تسمى باسمه ـ بل لكي يجد أرضاً تصلح لزراعة الورد.. وبعد سنين من اختفاء (ابن علي) جاء لبلادي شباب في سن (ابن علي) يحملون بأيديهم حديداً ويمتطون حديداً، سألناهم:

ـ لِمَ جئتمونا ؟

ـ كَي نخلصكم من السلطان ونجعلكم جميعًا سلاطين.

ـ وهذا الحديد؟

ـ نحرث به الأرض ونزرع الورد.

ـ الورد..؟ إذا سيعود (ابن علي)؟ فقد هاجر يبحث عن الورد؟!

ـ نعم، نعم بالتأكيد.. فبلادنا هي أم الورد.

ـ وأين بلادكم؟

ـ هناك خلف البحار.

وراحت الأيام وما من خبر عن (ابن علي) فسألت أحدهم، متى تزرعون الورد؟.. فضحك باستهزاء وركلني... دمعت عيني فتحاملت وذهبت للشاطئ وسألت البحر... فاهتز وزمجر، وقال لي:

ـ الكثير من حاول عبوري بحثاً عن الورد، بعضهم ما زال بضفتي الأخرى، وقد أنسته الورود الصناعية عطر الورد الحقيقي!... وبعضهم أخذته عروس البحر وها هو في جوفي.

ـ ولِمَ أَخَذْتَه؟

ـ تخاف عليه من الضياع.

ـ إذا خذني بموجك إليهم.

فزمجر ضاحكاً وقال:

هيهات لن تقبلك عروس البحر... لأنك لا تملك رقتهم ولا جمالهم... لذا مأواك الأرض... ولن تختارك عروس المياه.

القاص : عبد الحسين النارسي

هكذا كانت... النهاية

مهداة إلى أخي ومعلمي أبي أحمد الغضبان

في ربيع (2001م) تركت النجف الأشرف إلى بغداد بعد أن زرتها طالباً العون فقد «عَظُمَ البَلاءَ وَبَرَحَ الخَفاء، وَانكشفَ الغطاءُ، وانقَطعَ الرجاءُ»... نعم وضاقت بي الأرض الرحبة، فالأحبة خلف القضبان، أو تحت الثرى، أو لا أعلم لهم سبيل... الألم يعتصرني والهم لا يفارقني، ومما زاد شؤمي ذلك السائق القذر الذي أصر على سماع أغنيته رغم طلب جل الراكبين إطفاءها... حقدت عليه وعلى كل أشباهه وجعلتهم شماعة لكل انتكاساتنا المرة... كان الحزن يخيم علي، وكذا الخوف! الخوف من مستقبل مظلم... قسماً لو لم أكن على دين محمد(ص) لما تردت لحظة واحدة بالانتحار... شتمت في داخلي أسياد سائقنا ورحت مسترجعاً التاريخ في مخيلتي حتى وصلت ليوم (الخميس) حيث (براقش) وهي تمنع (هابيل) من كتابة القرآن محتجة (حسبنا كتاب الله) حيث السقيفة و(حرملة) يصلح قوسه ويسقي نباله السم، حيث (بلفور) يهدي (فدكا) لـ(محمد رضا بهلوي) و(صدام التكريتي)... كل ما أصابنا من تلك المسماة (براقش) فلولا نباحها لما ابتلينا بـ (أبي موسى الأشعري) ولا بسائقنا النتن... قسماً لو تقع بيدي لقطعتها بأسناني!!... فلولا هي ونباحها لعشنا جميعاً بأمان... وما قرأنا آية (9) من سورة (يس) كلما اقتربنا من نقطة تفتيش يقف بها أحفادها أصحاب شعار (لا حكم إلا لله).. أخذني التعب... أغمضت عيني وأنا اسب وألعن... وإذا بشيخ يفاجئني... شيخ ذو عمامة بيضاء، ولحية مثلها بياضا ... شيخ ذو طلعة بهية وكأنه الشمس... بل كأن الشمس وجهه... وهو يناولني ورقة... استيقظت وإذا أنا في نفس تلك السيارة... حيث سائقنا العفن وشباب طيبين... كانت الشمس ناعسة تسير ببطأ وهي تردد أبيات أبي العلاء المعري:

وعلى الدهر من دماء الشهيدين — علي ونجله شاهدان

فهما في أواخر الليل فجران — وفي أولياته شفقان

ثبتا في قميصه ليجيء الحشر — مستعديا إلى الرحمن

رحت اراقبها ذاكرًا بعض الاوراد سائلاً نفسي: ما تأويل هذه الرؤية ومن هذا الشيخ، وما هذه الورقة... ولا ادري كيف اخذتني اقدامي إلى قطاع (47) متحدياً جند (عمر بن الحجاج) ومن قال: (مالنا والسلاطين)... وإذا بصديقي الفهد حلال المشاكل...

ـ ألم تسجن... ألم تهاجر؟!.

ـ لا... أنا أمامك.

ـ الكل يريد... وانا لا أريد تكثير السواد!.. وما من وثيقة..

فاعطاني (ورقة)... ومرت الأيام تقلبنا على حسك السعدان وما من وثيقة، بيد اني اسافر حيث اشاء فقد كنت احمل (ورقة)... تنهدت في تلك القرون ما يقارب (3،365،246،060) مرة، و لم اضحك من قلبي... وإذا ضحكت نفاقاً فإني اتمثل:

فان تجد ضاحكا منا فلا عجب — فربما يبسُم المغبون أو ضحكا

حتى تزاحم الشباب في ساحة الفردوس... ورأيت احدهم ـ من على شاشة التلفاز ـ وهو يجلد صورة الحجاج بحذائه...

قال أحد زملائي: سأمزق دفتر الخدمة العسكرية... وقال الآخر: ساحتفظ به للذكرى... سألاني وأنت؟... اخرجت لهم كتاب تسريح وقلت ضاحكاً: أعطونياه في قطاع (47)... فتذكرت عندها الرؤية، إلا أني مازلت لا أعرف ذلك الشيخ.

وقعت مع من أثق به... فكتبتها في يوم الاربعاء.

القاص : عبد الحسين النارسي

من أوراق شهيد

مهداة إلى كل الشباب الذي استشهدوا تحت التعذيب في سجون البعثية

من تحت سياطه كنت اسمعه يغني... كان غناؤه أشبه بعواء ثعالة في موسم الإخصاب... قد أنساني الزمن كلمات أغنيته ، لكن لم يُنسني تلك اللحظات حيث لذة الانتصار بعد أن يتعب الجلاد و لم يظفر بنزع كلمة... فيصيح: (خذوا ابن.....) ويسب أهلي أو إلهي!، في تلك اللحظات الثقيلة كانت السياط تعزف على ظهري ألحان عذاب مر... ومشفريه تبصق كلمات أغنية تافهة... أو شتائم، أردت مشاركته الغناء فجاءت على لساني كلمات سمعته من زمن:

«علمتني ضربة الجلاد... إن امشي على جرحي وأغني... إنني مندوب جرح...»

لكن سريان الكهرباء في جسدي جعلني أُبدل ومن دون إرادة كلمة (لا أساوم) بـ (سأساوم) فصاح: (انزلوا أخ.....) .

«فحط على رأسي في حجرة وقال: تحمل»

وتراقصت أمامي أزهار برية كسرتها سرف الدبابات وأحذية الجنود... فانفرجت شفتاي عن أحرف علمتني إياها دموع اليتامى... فدنس خدي بحذائه فتذكرت (سنابك الخيول عصر عاشوراء)... قال: خذوه...

ثم سرت بجسدي قشعريرة لذيذة ألذ من تلك التي تفصل بين الطفولة والرجولة... قشعريرة جعلتني كبيراً... كبيراً بعيون اليتامى والشباب دون العشرين!!... وكذلك جعلتني سلمًا قويًا يصعد عليه الساسة وسارقو الثورة.

القاص : عبد الحسين النارسي

وصايا الشيخ العطّار

القاص: موفق الرحال

جلس كعادته عند النهر الممتد أمام البيت، ورغم جمالية المنظر المتضمن للماء الجاري والفراشات والأزهار الطبيعية، إلا أن (أيمن) كان مكتئبا كعادته، كان دائما يقول: إن الحياة ما هي إلا شقاء وعناء، وأمراض وعداء! الحياة احتياج وحرمان وبؤس وشكوى، حتى صداقاته تركها أيمن؛ لأنها كما يرى علاقات فارغة تشوبها المصالح وينتابها الخداع والنفاق!

وكان كثيرا ما يأتي عند النهر، الذي اعتاد عليه منذ الصغر، يسبح فيه ويصطاد منه السمك، ويجلس عنده في المساء يبث إليه شكواه من الحياة! فهو الوحيد الذي يستمع إليه ويصنت!

وبينما كان أيمن جالس مكتئبا مرّ شيخ عطّار، كان يسير على الطريق المحاذي للنهر، وهو يحمل بعض الاحتياجات المنزلية كالتوابل وغيرها، يبيعها على أهل القرية فيسترزق بها، لحظ على أيمن سيماء الحزن والكآبة، فعزم على أن يجلس معه على النهر، سلّم على أيمن وقال له:

ـ أ تسمح لي بالجلوس معك قليلا؟

فأجاب أيمن:

ـ على الرحب والسعة، تفضل أيها الشيخ الكريم.

وهنا بدأ الشيخ الكلام قائلاً:

ـ الماء الجاري والنبات الزاهي وأصوات الطيور، تجعل من الانسان في روح وريحان!

لم يبدِ أيمن أي تفاعل مع هذا الكلام، فقال الشيخ:

ـ ما رأيك يا بني بهذا الجو الرائع وهذه اللوحة الجميلة التي أنعمها الله علينا؟

ـ صحيح إن المناظر الجميلة تبعث الفرح والسرور في النفس، لكن ما فائدة تلك اللوحات إن كانت معلقة على جدران بيت لا تفارقه المتاعب والمشاكل والأحزان؟!

ـ أراك يا ولدي متشائما إلى حد بعيد! لماذا لا تحاول أن تكون إنسانا واقعيا؟ فالدنيا فيها الجيد والرديء، والجميل والقبيح، فيها الراحة والتعب سواء، فيها الإيجاب والسلب معا، والإنسان بتوكله على الله وعزيمته سيرى الجمال والراحة والرضا عمّا قسم له، لكنه باتكاله وتكاسله سيكون مرتعا للشؤم والإحباط والكآبة والسلبية..

وكان من حسن حظ هذا الشيخ أن قرأ قبل أيام قصة هادفة، تحدّث فيها

كاتبها عن كيفية مجابهة صعاب الحياة ومشاكلها، وما زالت ذاكرة الشيخ تحتفظ ببعض المضامين المهمة لتلك القصة، وقد حان وقت استثمارها، فقال لأيمن:

ـ اعلم بني أن كل انسان لو سألته عن مشاكله فإنه سيُسمعك قائمة طويلة من متاعب الحياة..

ـ لكن..

ـ دع عنك قول (لكن)، فالحياة لا تخلو من المشاكل والآلام، هذه سنة الله في خلقه.. والشيء المهم هو كيف نواجه تلك الهموم والمشاكل وكيف نقبل التعايش معها؟

ـ وكيف ذلك يا عجوزنا الحكيم؟!

ـ بني الحبيب، كان البحّارة قديما كثيرا ما تصادفهم حيتان عظيمة، وتلك مشكلة خطيرة، ضربة واحدة ربما تحطم سفينتهم الخشبية! فما العمل الذي ينبغي عليهم لمواجهة الخطر المحدق بهم؟

ـ أظن أن عليهم تركه وشأنه عسى أن يتركهم ويذهب.

ـ كلا يا ولدي، ما هكذا تورد الإبل!! لقد كان البحارة آنذاك يقومون برمي قارب فارغ يشغلون به الحوت عن مهاجمة القارب الذي هم عليه كي لا يغرق، وبينما الحوت منشغل بالتصادم مع القارب الفارغ تحين فرصة اصطياده والقضاء عليه، وهذا ما يجب علينا فعله في مواجهة مشاكل الحياة التي تعترض طريقنا. حتى علماء النفس في هذا الزمن ينصحون الأشخاص المحبطين، الذين تعترضهم مشاكل الدنيا وصعابها، بأن يقوموا بإلقاء قارب فارغ يشغلون به حوت همومهم وآلامهم! كي يستطيعوا في النهاية اصطيادها والقضاء عليها، فالثقة بالنفس من أنجع الوسائل في ذلك، تليها عملية نسيان التجارب الأليمة التي مرّت على الشخص المصاب بالتذمر والإحباط، ثم يأتي دور المشاركة في النشاط الاجتماعي، وهي من أهم ما يشغل الانسان عن الهموم، ولا سيما التواصل مع الأصدقاء وذوي القربى في أفراحهم وأتراحهم.

وهنا بدأت علامات الانبهار والتأثر عند أيمن تظهر، فكيف لشيخ عطّار يمتلك هذه الثقافة، فوجّه استفسارا:

ـ وكيف لي أن أنسى الهموم ونارها ما زالت تلهبني كل حين؟!

ـ بني إن هذه النقطة لم تكن منعزلة عن النقطتين الأخريين، فأنت عندما تمتلك الثقة بالنفس يقينا سيكون لديك الأمل الكبير بأنك تستطيع تجاوز المحن والصعاب التي أنت فيها، وهذا يعطيك الحقنة التي تخفف عنك وطأة الألم، ومن ثم يأتي دور التواصل الاجتماعي الذي يقوم بعملية الإلهاء والتحفيز النفسي بإزاحة كثير من عوامل الكآبة، وإشغال الذاكرة بمستجدات تستقطبها وتنعشها بالتفاعل الإيجابي، ولا سيما دور الأصدقاء والأقرباء، الذين أبعدتنا عنهم مشاغل الحياة كثيرا، فالتواصل مع من يشكلون ذكريات جميلة وسعيدة من شأنه أن يغيّر نفسية الانسان بالاتجاه الصحيح.

وهنا انشرح أيمن وطلب الاستزادة أكثر، فقال الشيخ:

ـ بني العزيز، إن الوقوف أمام التجارب المؤلمة واجترارها لا فائدة منه سوى إهدار العمر بما لا خير فيه، ولا يساعد الانسان في التقدم خطوة واحدة إلى الأمام، وما نستطيع أن نغيّره فلنبدأ من الآن بتغييره، وما لا طاقة لنا بتغييره فعلينا أن نلقي إليه القارب الفارغ، لنشغل به تلك الهموم والآلام فنبعدها عنا، واعلم يا بني أن هنالك حكيم اغريقي قديم كان يدعو الله بالقول: «يا رب امنحني القدرة على تحمّل ما لا طاقة لي على تغييره، والشجاعة لتغيير ما ينبغي تغييره، والحكمة للتفريق بينهما»، فالحياة هي هكذا دائما، انتصارات وهزائم، مكاسب وخسائر، والفطن هو من يمتلك زمام المبادرة ولا يسمح للهزائم الصغيرة أن تكدّر حياته وتجعلها نكدا وسوادا، وتثبط من عزيمته في المواجهة.

ـ أيها الشيخ الكريم، هل لك أن تمثّل لي كيف ذلك؟

ـ بني العزيز. هل قرأت في مسرحيات الأديب والمفكر الانكليزي وليام شكسبير؟

ـ نعم، قرأت بعض الشيء منها.

ـ هل مررت على مسرحية (عطيل)؟

ـ نعم، وكان ذلك قبل عشرة أعوام تقريبا.

ـ يبدو أنك لم تستفد من قراءتك تلك!

ـ كيف يا شيخ؟ أبصرني رجاء.

ـ في تلك المسرحية يقول الدوق: «إن الرجل الذي يسرقه لص فيبتسم ترفعا فإنه قد استرد من اللص بعض غنيمته، أما أن يحزن بلا طائل فإنه يسرق نفسه مرة أخرى بعد أن سرقها اللص؛ لأنه يضيف إلى خسارته المادية

خسارة معنوية جديدة لا تُقدّر بثمن!».

ـ لقد صعقتني يا شيخ بهذه الكلمات الـدرر! أين كنت عنّـي؟ لمَ لم تأتني قبل هذا الوقت بكثير؟! فقد أكلتني الهموم منذ سنين عديدة! جزاك الله خيرا، لكن يا شيخ هـل تعلم بأن كثير من الأصدقاء هم أصدقاء بالاسم فقط! وهذا يعني أن هنالـك عوامل خـارج إرادتك تجعلك تميل نحـو العزلـة والانطـواء، وبالتالي ستكون فريسة سهلة للألم والهم والغم!

ـ إذا أنـت تشكو من قلّة الأصدقاء، لا عليك من هذا فالحل لدي..

ـ زدني أرجوك..

ـ تمهّـل يـا ولـدي تمهّل، ففـي هذه الحالـة عليك بما كان يقـوم به فيلسوف أوربـا في وقته الفرنسي (ديكارت)، إذ كان في فترة شبابه يقـرأ الأدب القديم، وكان يقـول بأنه يقوم كل يـوم بأسفار ذهنيـة إلى الماضـي ليتحـدث مـع أنبل الناس في أعظم العصور! حتى حدثت لـه معهم صداقات عميقـة عوّضته عن قلّـة أصدقائـه وانشغالهم عنـه، فلم لا تقوم أنـت بمثل تلك الأسفـار لتصادق الأوفيـاء مـن الناس؟! بـل عليك بقول المتنبـي الحكيـم عندمـا قـال: «وخير جليس في الزمـان كتاب»، وهـذا أنا رغم تجوالي بين القرى أبحث عن رزقي إلا أنني لم أتخلَ عن صديقي وصاحبي (الكتـاب)! ففـي كل مـرة أجوب بها اتخـذ لي كتابا معينـا أقضي معه رحلتي وسفـري وتجـوالي، وقـد وجـدت في الكتاب خير صديق، وخير معين، وخير جليس كما قال المتنبي الحكيم!

وهنا اغرورقت عينا أيمن بالدموع، وقـام بأخذ يـد الشيـخ ليقبّلهـا! الآن اكتشـف كم كان هو علـى خطأ! وكم سيطر عليـه الوهم الذي كاد أن يقتله؟! وقـد ألح علـى الشيخ أن يحـلّ عليهم ضيفا، لكن الشيخ العطّار أبى ورفض، معتـذرا بـأن لا وقـت لديه ويريـد أن يذهب قبـل مغيب الشمس، وهنا شكر أيمن الشيخ بالقول:

ـ جـزاك الله يـا شيخ فقـد جعلتني أشعـر وكأني ولـدت اليوم مـن جديد! رجاء يـا عم أسألك بـالله أن تضيفنا في المرة القادمة..

ـ ان شـاء الله يـا ولـدي، وقبـل أن أذهب سأزيـدك بهذه الحكايـة التي لا مناص من الإفادة منها..

ـ يا الله! هاتها يا عم.

ـ كان في الماضـي هنالـك في بـلاد اليابـان أديـبٌ عظيـمٌ يدعـى (جيبنسا إيكـو)، وكان هـذا الرجـل معروفـا بالدعابـة والسخريـة في طرحـه علـى الرغم من كونـه فقيرا جدا! وكان كثيرا ما يسخر من فقره ونفسه ومن كل شيء في الحيـاة يبدو مؤلما! ويقـال عنه إنه لم يتوقـف يومـا عـن الكتابة رغـم حالته المزريـة ووضعه السيّئ! حتى أنه في بيته لم يكن له أثاث، فعمل على تعليق صور للأثاث على الجـدران! مستعينا بالوهم على الواقع، ومن هنا يتبيّن لنا أن للوهم إيجابيات إن أحسنّا استثماره طبعا، وإلا فالوهم منطقيا عملية سلبية، لكن يمكن استثمـاره في بعض الجوانـب كوسيلة تعويضية عـن الفقر والفاقـة والحرمان مثـلا، كمـا يقال عـن هذا الأديـب أنه كان يقـدم لتلاميذه صـورا للهدايا التي لو كان يمتلك نقودا لاشتراها لهم! تأمّل يـا ولدي لهذا الأديب كيف كان يواجه المشـاكل بالدعابة والمـرح والسخرية! وحينما اقترب من الموت أعطى تلاميذه لفافـات، أوصاهـم بعدم فتحهـا، وأن عليهـم وضعهـا فـوق جثمانـه قبل أن تُحـرق جثّتـه! فهـل تعلـم مـاذا كانت المفاجأة؟

ـ أبصرني يا عم!

ـ بعـد أن مـات الأديـب (جيبنشـا إيكـو) التزم تلاميـذه بوصيته، فجاؤوا باللفافات التي أعطاهـا لهم، وتركوها فـوق جثمانـه، وكانـوا حزينـين جدا علـى معلمهـم اللطيـف، ينوحـون ويبكون أسفا وحزنا على فقده، وما إن أُضرمت النار في الحطب الذي وُضعت عليـه جثّـة الرجـل حتـى انطلقت من اللفائـف صواريخ ملوّنـة، وهي عبارة عـن صواريخ لألعاب ناريـة! أصدرت أصواتـا تعبّر عـن الفرح والمـرح! فلم يتمالك تلاميـذه أنفسهم من الضحك، متفاجئـين مـن سخرية معلمهـم الذي لم يستثنِ حتى موته مـن تلك السخرية والدعابـة!! وفي الختـام أقـول لـك يا ولـدي إن السعادة وكل السعادة هو أن تكون مع خالق الكون العظيم وتطمئن لقضائـه، وأن تجعل مـن نفسك عنصرا فعّالا لخدمـة الناس، فخير الناس من نفع الناس، وأستودعك الله يا ولدي..

قام أيمـن باحتضـان الشيـخ وأخذ يقبله من رأسه وهو يودعه بكلمات الود والمحبة ورد الجميل:

ـ رافقتـك السلامـة وفي أمان الله يا شيخ.. سأبقى أدعـو لك ربي بالرحمة والتوفيق والصحة والعافية.. شكرا لك وجزاك الله خيرا..

المشخاب ١٩١٨

بقلم المهندس الاستشاري: تحسين عمارة

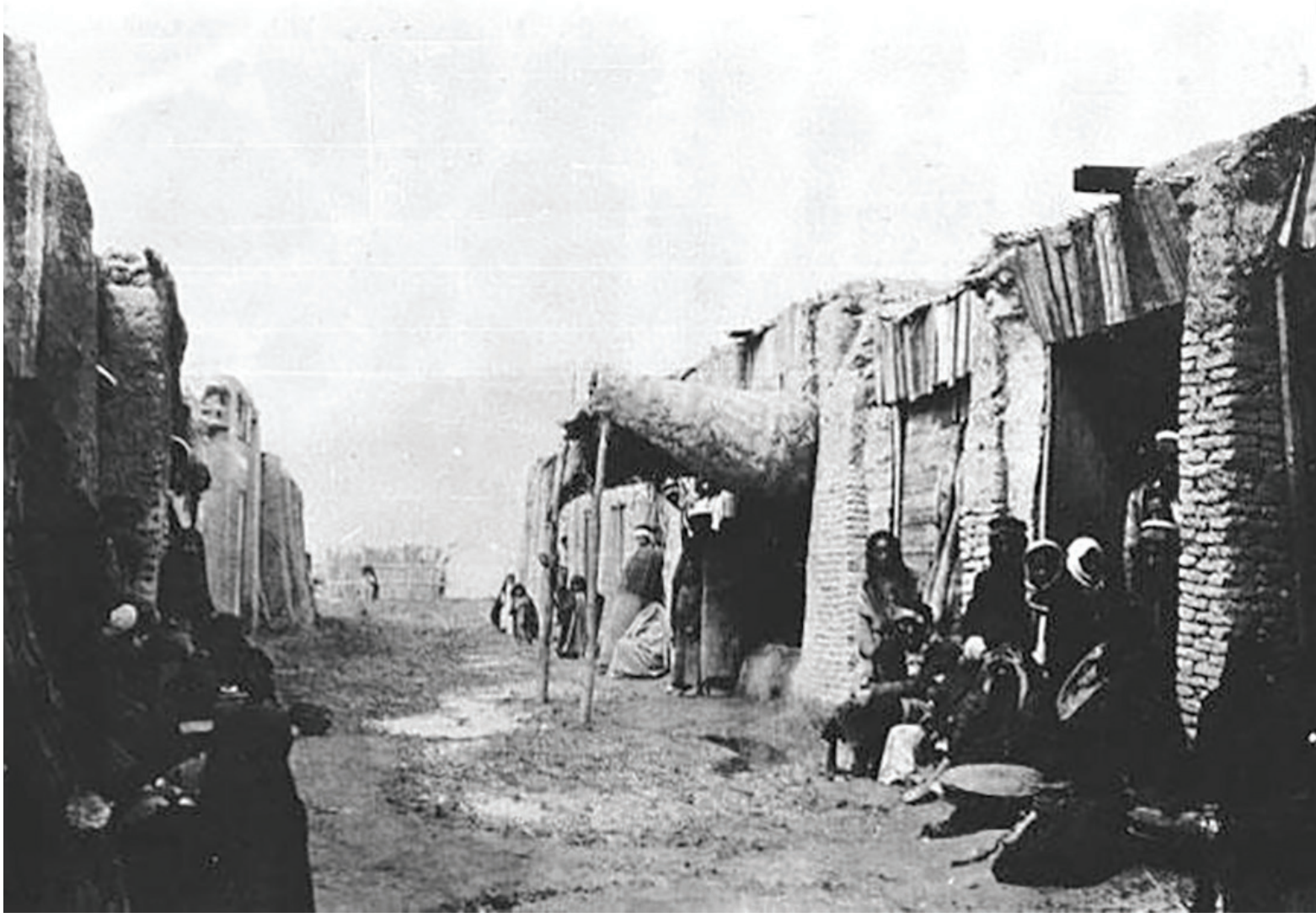

الصورة المرفقة لبلدة المشخاب عام ١٩١٨ وهي من صور السكرتيرة الشرقية المس بيل (ت: ١٩٢٦)، وأصل الإسم من العربيّة الفصحى: الشُخُب: شخب اللّبن من الضّرع إذا صَوت وَهُوَ صَوت وقعه بعضه في بعض عِنْد الْحَلب والشخب مِنْهُ الصبة الْوَاحِدَة وَمِنْه فِي الْمثل شخب فِي الأَرْض وشخب فِي الْإِنَاء[١].

بعد شق آصف الدولة الهندية ترعة؛ لغرض إيصال الماء إلى مدينة النجف الأشرف، وجدت المياه لها طريقا إلى منخفض بحر النجف، وأصبح بحرا كبيرا متلاطم الأمواج، وقد أصبحت الترعة نهرا عظيما، وعند وصول النهر إلى مكان بلدة أبو صخير أخذت مياهه تنشخب في أراضي البحر الواطئة بواسطة عدة مجاري، فأطلق عليها اسم المشاخيب، ثم توحدت تلك المجاري بطبيعتها وتكون منها نهر المشخاب الحالي الذي يبدأ من بلدة أبو صخير الراكبة على ضفته اليمنى ويجري نحو الجنوب وبعد أن يقطع مسافة ١٣ كيلومترا يصل إلى بلدة المشخاب.

كانت أرض المشخاب حتى سنة ١٢٥٨هـ/١٨٦٨م، لا تزال مغمورة بمياه بحر النجف. ولم يدب إليها العمران إلا في حدود سنة ١٢٩٦هـ/١٨٧٩م[٢].

في عام ١٢٩٩هـ/١٨٨٢م سجلت أراضي المشخاب باسم السلطان عبد الحميد الثاني، وأطلق عليها أراضي السنية؛ وبعد خلع السلطان عبد الحميد سنة ١٣٢٦هـ/١٩٠٨م، سجلت دائرة الأملاك الأميرية باسم الأملاك المدورة.

في عام ١٣٣٤هـ/١٩١٦م أسس إبن سوار من رجال مبدر آل فرعون قرية، ثم تحولت إلى ناحية أطلق عليها السوارية نسبة إليه[٣].

والحق الاسم بالنهر الذي امتدت على ضفتيه وعرف بنهر السوارية، أما سبب التسمية: فان هناك قطعة أرض تعود لإبن سوار المار ذكره، قد أنفتح عليها سداد نهر الفرات وغمرتها مياه فجائتها معونة العشائر وعالجتها حتى سدتها بعد جهد جهيد، ومنذ ذلك الوقت عرفت بالسوارية وعرف النهر الذي يخترقها بنهر السوارية[٤].

والصورة المرفقة لها عام ١٩١٨ توضح بساطة بناء سوقها، وحتى العام ١٩٢٤ كانت السوارية عبارة عن سوق صغير، تجاورها صرائف من قصب ومياه[٤].

حدث حريق في هذا السوق عام ١٩٢٦ وهذا ما ذكرته جريدة النجف تحت عنوان: حريق في السوارية، (حدث حريق هائل في السبوع الفائت في سوق السواريّة ـ المشخاب ـ والخسائر تقدر بـ ٢٠٠٠ ليرة تقريباً)[٥].

بعد زيارة الملك فيصل الأول في ٢٧ حزيران ١٩٢٧ أطلق عليها اسم الفيصلية ، وتم إنشاء سراي الحكومة في ناحية الفيصلية عام ١٩٢٨ كما انشأ الجسر سنة ١٩٤٢، ومن الطريف أن نذكر إن بيوت المدينة كانت من الصرائف، والحبال، والخشب، وفي سنة ١٩٥٣ حدث حريق كبير إلتهم نصف الدور السكنية، وعد الحريق بمثابة كارثة هزت الفرات الأوسط، فتبرع متصرف الديوانية عبود الشوك بمبلغ ٣٠ دينار لمساعدة المتضررين، فيما تبرع الأغنياء بمبلغ ٢٠ دينار[٦].

سميت المشخاب، وكانت ناحية تتبع قضاء أبو صخير من أقضية لواء (محافظة) الديوانية، في عام ١٩٧٦ إستحدثت محافظة النجف، وتبع قضاء ابو صخير (المناذرة) إلى محافظة النجف وبضمن القضاء ناحية المشخاب.

١ـ مشارق الأنوار على صحاح الآثار ـ أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي (ت: ٥٤٤) المكتبة العتيقة ودار التراث ج/٢ ص ٢٤٥.

٢ـ العراق قديما وحديثا عبد الرزاق الحسني (ت : ١٤١٨) ط ٧ دار اليقظة العربية ـبغداد ١٩٨٢ ـ ص ١٦٢.

٣ـ تاريخ الديوانية ـ الحاج وداي العطيه (ت: ١٤٠٣) المطبعة الحيدرية ـ النجف ١٩٥٤ ص ١٩٩.

٤ـ موجز أخبار البلدان العراقية ـ عبد الرزاق الحسني (ت :١٤١٨) ط ٢ دمشق ص ٩١.

٥ـ جريدة النجف العدد ٣٨ السنة الأولى الصادر في نيسان ١٩٢٦.

٦ـ المشخاب أصالة وعطاء ـ عبد الزهرة تركي فريج الفتلاوي (معاصر)، ملزمة قبل الطبع بنفس العنوان في مكتبة المؤلف عبد الزهرة تركي ص ٤٦.

العراق ـ كربلاء المقدسة
الطريق الدولي ـ البهادلية
Albahadeliah-Aldawit road-Holy Karbala- Iraq
www.kh.iq 0760 2029 990
info@kh.iq 0760 2041 444
0772 0802 288
الهاتف الخاص للاستفسار حول التأمين الصحي
0760 2040 009
m.facebook.com/alkafeelhospital
alkafeel.hospital

مستشفى الكفيل التخصصي.. التقنية أقرب مما تتصور..

القرامطة

حلقة من صراع السلطة الدامي

بقلم: باسم الساعدي

مجموعة تنتسب إلى شخص واحد، خدعهم بأكاذيب وحيل بسيطة، لكنهم آمنوا به وقاتلوا بشجاعة حتى استطاعوا تأسيس ما يشبه الدولة حكموا بالسيف وتحكموا بمقدرات الأمة، ادعوا التشيع وأكثر ضحاياهم من الشيعة، أشار لهم أمير المؤمنين صلوات الله عليه بإحدى خطبه في مسجد الكوفة، نهبوا مكة المشرفة وقتلوا حجيجها، أعني القرامطة.

التعريف بالقرامطة

قد اختلفوا في القرامطة أهم نسبة إلى رجل لقبة قرمط؛ لأنه قصير القامة قصير الأرجل ذي خطوات متقاربة، وقد اختلفوا كذلك في تحديد اسمه ونسبة، وأصل موطنه، واسمه حمدان بن الأشعث وقيل عثمان، وقيل غير ذلك[1]، أو نسبتهم لمذهب يحمل اسم القرمطة وهو ليس بإسلامي[2].

1- المواقف3: 675.
2- بغية الطلب في تاريخ حلب2: 929.

ظهور القرامطة

ظهر رجل في الكوفة سنة 278 في موضع يقال له النهرين، وأصله من خوزستان، كان يظهر الزهد والتقشف، ويعتاش من سف الخوص، ويكثر الصلاة، وكان ينشر تعاليمه إن جالسه أحدهم، التي منها: أن الصلاة المفروضة خمسون صلاة في اليوم والليلة، من ثم استغل عواطف الناس وصار يزعم أنه يدعو إلى إمام من أهل بيت الرسول الأكرم صلوات الله عليه وآله. وقبل ظهور دعوته صارت

حادثة مهمة جعلت العامة يحبونه ويتأثرون به، وهي: أنه كان يجالس بقالا في القرية التي يسكنها وقرب البقال بستان نخل اشتراه مجموعة من التجار، وخزنوا المحصول في حضيرة، وطلبوا من البقال حارسا فنصحهم به، وقال لهم: «وقال إن أجابكم إلى حفظ ثمرتكم فإنه بحيث تحبون»، فاتفقوا على أجر دراهم قليلة، وكان أيام حراسته يصلي أكثر نهاره وهو صائم ويفطر على رطل تمر يأخذه من صاحبه البقال، وبعد أن أخذ التجار تمرهم حاسبوا حارسهم الذي حاسب البقال على التمر الذي اشتراه منه وقطع ثمن النوى الذي كان يبعه له، فسمع التجار ما جرى بين حارسهم وبقال فظنوا انه سرق من تمرهم «فوثبوا عليه فضربوه، وقالوا: ألم ترض أن أكلت تمرنا حتى بعت النوى، فقال لهم البقال: لا تفعلوا فإنه لم يمس تمركم، وقص عليهم قصته، فندموا على ضربهم إياه، وسألوه أن يجعلهم في حل ففعل وازداد بذلك نبلا عند أهل القرية لما وقفوا عليه من زهده»[3]. وبعد ذلك مرض مؤسس القرامطة فطلب البقال من حمال يحمل على أثوار له، وكان الحمال يلقب بكر ميته، وهي بالنبطية، وترجمتها للعربية أحمر العينين؛ لأنه ـ الحمال ـ كان شديد حمرة العينين، أن يأخذه إلى بيته ويأمر أهله بالعناية به، وقد تأثر الحمال بدعوة القرمطي وصار داعية له، ثم كثر أتباعه «واتخذ منهم اثنى عشر نقيبا، أمرهم أن يدعو الناس إلى دينهم، وقال لهم أنتم كحواري عيسى ابن مريم» وتعطلت الأعمال بسبب كثرة الصلاة التي فرضها على أنصاره ومريديه، فسأل

حركة غنوصية استهوت الكثير من البسطاء وسيطرت فارتكبت جرائم كبرى

الهيصم ـ عامل الكوفة ـ على ذلك، فحدثوه عن أمر القرمطي وصلاته، فأخذه وحلف أن يقتله وحبسه في بيته، وجعل مفاتيح السجن تحت وسادته، وفي الليل، عندما شرب الهيصم وغلبه النوم، سرقت جارية المفاتيح، وكانت متعاطفة مع القرمطي، فأخرجته وأعادت المفاتيح إلى مكانها، وعند الصباح لم يجد عامل الكوفة سجينه والباب مغلق، «وشاع بذلك الخبر ففتن به أهل تلك الناحية، وقالوا: رفع، ثم ظهر في موضع آخر ولقي جماعة من أصحابه وغيرهم فسألوه عن قصته، فقال: ليس يمكن أحدا أن يبدأني بسوء ولا يقدر على ذلك مني، فعظم في أعينهم، ثم خاف على نفسه فخرج إلى ناحية الشأم فلم يعرف له خبر، وسمى باسم الرجل الذي كان في منزله صاحب الأثوار كرميته ثم خفف فقالوا قرمط»[4]، وكان قبل ذلك عرض نفسه على صاحب الزنج حتى يتبعه، رووا عن زكرويه بن مهرويه، وهو داعية قرمط، «أنه قال: قال لي قرمط: صرت إلى صاحب الزنج ووصلت إليه، وقلت له: إني على مذهب، وورائي مائة ألف سيف فناظرني فإن اتفقنا على المذهب ملت بمن معي إليك وإن تكن الأخرى انصرفت عنك، وقلت له: تعطيني الأمان، ففعل، قال: فناظرته إلى الظهر، فتبين لي في آخر مناظرتي إياه أنه على خلاف أمري، وقام إلى الصلاة فانسللت فمضيت خارجا من مدينته، وصرت إلى سواد الكوفة»[5].

عقيدتهم

هم من الإسماعيلية، الذين يقولون بإمامة السيد إسماعيل بن الإمام الصادق عليهما السلام، غير أنهم يفترقون عن غيرهم من الإسماعيلية بالقول أن السيد إسماعيل توفي بحياة أبيه الإمام الصادق صلوات الله عليه، وقد نص سيد إسماعيل على إمامة ابنه محمد، فهو إمامهم كما يزعمون[6]، وقيل هم من الخوارج[7].

مراحل دعوتهم

وقد اعتمدوا مراحل لبث دعوتهم واستمالة الناس لها، فهم لا يعطون كل عقائدهم لمن يريدون كسبه لهم دفعة واحدة، بل يتدرجون في ذلك، فأولا يختارون الشخص المناسب لتلقي تعاليمهم ويسمون هذه المرحلة(الذوق)، ثم مرحلة(التأنيس)وهي استمالة كل أحد فرد يرون في استعداد لتلقي مبادئهم.بما يحبه إن كان زهدا أو خلاعة ومجونا أعطوه ما يريده وشجعوه على مبتغاه، ثم المرحلة الثالثة وهي(التشكيك في أركان الشريعة) من التشكيك .بمقطعات السور ولما المرأة الحائض تقضي صومها دون صلاتها، ولما الغُسل من المني دون البول، وعدد الركعات في الصلاة، ثم بعدها مرحلة(الربط) وهو أخذ الميثاق

3ـ تاريخ الطبري8: 159.

4ـ تاريخ الطبري8: 160.

5ـ تاريخ الطبري8: 162.

6ـ الفصول المختارة306.

7ـ مستدرك سفينة البحار8: 508.

من المنتمي إليهم بأن لا يفشي لهم سرا، ثم مرحلة(التدليس) وهي دعوى موافقة أكابر رجالات الدين والدنيا لهم حتى يزداد ميلا لهم، ثم السادسة مرحلة(التأسيس) وهي تمهيد مقدمات يقبلها من انضم لهم، ثم مرحلة(الخلع) وهي «الطمأنينة إلى إسقاط الأعمال البدنية، ثم السلخ عن الاعتقادات، وحينئذ يأخذون في استعجال اللذات، وتأويل الشرائع. ومن مذهبهم أن الله لا موجود ولا معدوم، وربما خلطوا كلامهم بكلام الفلاسفة، وحين ظهر الحسن بن محمد الصباح جدد الدعوة على أنه الحجة»[8].

انتشار دعوتهم

انتشرت دعوة القرامطة في الكوفة وأنحائها وذلك بتشجيع من أحمد بن محمد الطائي، أحد القادة الأمراء في العصر العباسي، وكان عامل الكوفة في وقتها[9] - حيث اكتفى بأخذ دينارا كضريبة انتمى على كل قرمطي، و لم يبالي السلطان في ذلك الوقت عندما أخبروه بأن دينا جديدا غير الإسلام ينتشر في أرجاء سلطنته، وأن الطائي يتستر عليهم، بل حتى بعض من أخبر السلطان لم يعد لدياره خوفا من الطائي، أما سبب سرعة انتشار دعوتهم فهي كرامات كذّبوها على البسطاء من العامة، واباحتهم المحرمات مما تهواه النفس البشرية المريضة وتميل إليه[10]، وكذلك نهبهم ممتلكات الناس واستباحة الأعراض، حتى أن امرأة من بني العباس استرقوها من ثم تزوجها أربعة وولدت منهم ولا تعلم أي الأربع زوجها، وصار الابن يقتل أمه إن هي خالفت عقيدة القرمطية[11].

سبب انتصاراتهم

وسبب قوته وانتصاراته أنه اعتمد ما يعرف اليوم بحرب العصابات، وكان رجاله قد اعتادوا صعوبة الحياة وقساوتها، وقد اتصفوا بالشجاعة عند التقاء السيوف، حتى اجبر المعتضد العباسي غض النظر عنهم وكأنهم في دولة غير دولته، وذلك انتصار أبي سعيد الجنابي على جيش الدولة واسر قائدهم العباس بن عمرو الغنوي، ثم أطلق سراحه العباس بن عمرو، بعد أن حمله رسالة إلى المعتضد، فقد رووا عن العباس بن عمرو أنه قال: «لما أسرني أبو سعيد الجنابي القرمطي، وكسر العسكر الذي كان أنفذه معي المعتضد بالله لقتاله، وحصلت في يده أسيرا آيست من الحياة، فأنا يوم على تلك الصورة إذ جاءني رسوله فأخذ قيودي، وغير ثيابي وأدخلني إليه، فسلمت وجلست، فقال لي: أتدري لم أستدعيك؟ قلت: لا، قال: أنت رجل عربي، ومن المحال أن أستودعك أمانة أن تحقرها، ولا سيما منى عليك بنفسك، فقلت: هو كذلك، قال: إني فكرت فإذا لا طائل في قتلك، وإذا في نفسي رسالة إلى المعتضد لا يجوز أن يؤديها غيرك، فرأيت إطلاقك وتحميلك إياها، فإن حلفت لي أن تؤديها سيرتك إليه، فحلفت، فقال: تقول للمعتضد: يا هذا لم تخرق هيبتك وتقتل رجالك، وتطمع أعداءك في نفسك، وتتعبها في طلبي وإنفاذ الجيش إلي، وأنا رجل مقيم في فلاة، لا زرع عندي ولا ضرع، ولا غلة ولا بلد، وإنما أنا قد رضيت لنفسي بخشونة العيش، والأمن على المهجة، والعز بأطراف هذه الرماح، وما اغتصبتك بلدا كان في يدك، ولا أزلت سلطانك عن عمل جليل، ومع هذا - فوالله - لو أنفذت إلى جيشا من الجيوش مع الثلج والريح والندى فيجيئون من المسافة البعيدة والطريق الشاق، وقد قتلهم السفر وقبل قتالنا، فإنما غرضهم أن يبدوا عذرا في مواقفتنا ساعة ثم يهربون، فإن ثبتوا مع ما لحقهم من وعثاء السفر، وشدة الجهد، التي هي أكثر أعواني عليهم، فما هو إلا أن أخفق عليهم حتى انهزموا، وكثر ما تقدر عليه أن يجيئوا فيستريحوا ويقيموا، ويكونوا عدة لا قبل لي بهم فيهزموني إذا قاتلوني لا يقدر جيشك على أكثر من ذلك، فما هو إلا أن أنهزم حتى قد بعدت عن هذا الموضع عشرين فرسخا أو ثلاثين، وحولت من الصحراء شهرا أو اثنين ثم أكبسهم على غرة فقتلت جميعهم، ولو لم يستولى هذا وكانوا متحرزين فما يمكنهم الطواف خلفي في البراري فلا ينبغي طلبي في الصحارى، ثم لا يحملهم البلد في المقام ولا الزاد إن كانوا كثيرين، فإن انصرف الجمهور وبقى الأقل فهم قتلى سيوفي أول يوم ينصرف الجيش ويبقى من يتخلف، هذا إن سلموا من وباء هذا البلد ورداءة مائة وهوائه للذين نشؤا في ضده، وربوا في غيره، ولا عادة لأجسامهم بالصبر عليه، ففكر في هذا وانظر، هل يفي تعبك وتغريرك بجيشك وعسكرك، وانفاقك الأموال وتجهيزك الرجال، وتكلفك هذه الأخطار،

8- المواقف3: 676.
9- الاعلام1: 205.
10- صلة تاريخ الطبري: 113.
11- تاريخ الطبري8: 220، أقول: ليس من العجب ما نقلناه هنا عن بعض المؤرخين؛ لآنا سمعنا - متواترا - في فترة عصابات داعش أكثر بكثير مما هو مسطور في بطون مصادر التاريخ.

وتحملك هذه المشاق لطلبي؟!، وأنا مع ذلك خالي الدرع منها، سليم النفس والأصحاب من جميعها، وهيبتك تنقص في الأطراف وعند ملوكها كلما جرى عليك شيء من هذا، ثم لا تظفر من بلدي بطائل، ولا تصل منه إلى مال أو حال، فإن اخترت بعد هذا محاربتي فاستخر الله تعالى وانفذ من شئت، وإن أمسكت فذاك إليك. قال: فأنفذني ثم جهزني وأنفذ معي عشرة من أصحابه إلى الكوفة فسرت منها إلى الحضرة، فدخلت على المعتضد فتعجب من سلامتي وسألني عنها، فقلت: سبب أذكره سرا لأمير المؤمنين فتشوق إليه وخلا بي وسألني، فقصصت عليه القصة، فرأيته يتمعط في جلده غيظا، حتى ظننت أنه سيسير بنفسه إليه، وخرجت من بين يديه فما رأيته بعد ذلك ذكره بحرف»[12].

حدود دولتهم

لم يكن للقرامطة دولة في المعنى الحقيقي للدولة، نعم هم تسلطوا على بعض البلدان، واستطاعوا أخذ البيعة من أهلها، وانتشر دينهم في تلكم الديار التي سنتعرض لها بإيجاز تحت عناوين مستقلة.

12- الفرج بعد الشدة1: 115.

القطيف

بعد أن فتك المعتضد بالله العباسي بالقرامطة في صحاري العراق، وصل من الكوفة إلى القطيف رجل منهم من القرامطة يدعى يحيى بن المعلى، وقيل ابن المهدي، سنة 281، ونزل على رجل يدعى علي بن المعلى بن حمدان، وادعى يحيى بن المعلى أنه رسول من الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف، وأنه -يحيى- قد خرج يدعو الناس إلى الإمام المنتظر روحي وأرواح العالمين له الفداء وأن الظهور قريب، وعلى الناس المسارعة إليه، وأظهر لهم كتابا زعم أنه من الإمام المهدي صلوات الله عليه، وقد استجاب له بعض الناس ومنهم أبو سعيد الجنابي، الذي كان يبيع الحبوب وكان شجاعا داهية، قبيح المنظر، وكان من العظماء في تلك الأرجاء، ثم غاب عنهم يحيى بن المعلى أو ابن المهدي مدة من الزمن ورجع ومعه كتاب يزعم أنه من الإمام المهدي صلوات الله عليه وأنه يشكرهم فيه على تلبية دعوته[13]، «وأمرهم أن يدفعوا ليحيى ستة دنانير وثلثين عن كل رجل منهم، ففعلوا، ثم غاب وجاء بكتاب آخر بأن يدفعوا إليه خمس أموالهم، فدفعوا، وأقام يتردد في قبائل قيس»[14].

13- الروض المعطار في خبر الأقطار: 286، وتاريخ ابن خلدون3: 350، والأعلام2: 185.

البحرين

استطاع أبو سعيد الجنابي، واسمه الحسن بن بهرام، وأصله من فارس من بلدة جنابة[15]، وقد كان يبيع الحبوب، سنة 286[16] احتلال البحرين بعد حصار دام ثلاث سنين، وخربها قتلا وتحريقا حتى رووا أنه جمع النساء في حضائر من سعف النخيل اعدها خصيصا واحرقها مع النسوة[17].

البصرة

في سنة 287 في شهر ربيع الأول تحرك القرامطة بقيادة أبي سعيد إلى القطيف ومنها إلى البصرة، فعم الخوف البصريين، فكتب أحمد بن محمد بن يحيى الواثقي - وكان أمير حرب البصرة- يسأل المدد فوجه إليه في آخر هذا الشهر بثماني شذوات -وهي نوع من السفن- فيها 300 رجل[18]، وأمر المعتضد بأربعة عشر الف دينار من أجل تسوير البصرة[19]، «وفي شهر ربيع الآخر منها ولى المعتضد عباس بن عمرو الغنوي اليمامة والبحرين ومحاربة أبي سعيد الجنابي ومن معه من القرامطة، وضم إليه زهاء ألفي رجل، فعسكر العباس بالفرك»[20]، ونظم إليهم جند آخرين ومتطوعين من البصريين، ونشبت المعركة وكان النصر للقرامطة، وقد أسروا ما بقي

14- تاريخ ابن خلدون3: 350.
15- الكنى والألقاب2: 157.
16- الكامل في التاريخ 7: 494.
17- تاريخ ابن خلدون4: 92، لسان العرب2: 358.
18- تاريخ الطبري8: 198.
19- مروج الذهب4: 175.
20- تاريخ الطبري8: 199.

من الجيش مع قائدهم الغنوي، وقتلوا اجمعهم واحرقهم إلا القائد عباس بن عمرو فقد أبقاه وبعث به رسولا إلى المعتضد[21]، وقد قدمنا ذكره تحت عنوان سبب انتصاراتهم.

الكوفة

انتشر القرامطة في سواد الكوفة واستطاع شبل غلام أحمد بن محمد الطائي، بأمر من المعتضد، كسر شوكتهم، وذلك سنة 289، فقبض على رئيس لهم يدعى بابن أبي فوارس، فأرسله إلى المعتضد «فدعا به المعتضد لثمان بقين من المحرم، فساءله ثم أمر به فقلعت أضراسه، ثم خلع يمد إحدى يديه - فيما ذكر - بكرة وعلق في الأخرى صخرة وترك على حاله تلك من نصف النهار إلى المغرب، ثم قطعت يداه ورجلاه من غد ذلك اليوم، وضربت عنقه وصلب بالجانب الشرقي، ثم حملت جثته بعد أيام إلى الياسرية فصلب مع من صلب هنالك من القرامطة»[22].

السماوة

بعد أن تشتت شمل القرامطة بالكوفة و لم تستجب القبائل القريبة من الكوفة من طي وأسد وتميم وغيرهم لزكرويه بن مهرويه - الداعية القرمطي - بعث ابناءه إلى السماوة، مستغلا حب المسلمين لآل بيت النبي الأكرم صلوات الله عليه وآله، وحمية العرب إن استجار بهم مستجير، فادعى أبناء زكرويه كذبا أنهم من نسل أمير المؤمنين علي صلوات الله عليه، وأنهم فارون من السلطان، وكان فيها - في السماوة - أعراب من قبيلة كلب كان لهم خفارة طريق الشام والكوفة على طريق تدمر، وكانوا يحملون الرسل وامتعة التجار على إبلهم، فقبلهم الناس وبايعوهم، من ثم صاروا يدعون إلى عقيدة القرمطي فلم يقبل الكلبيين منهم غير فخذ بني العليص بن ضمضم بن عدي بن جناب ومواليهم خاصة فبايعوا في آخر سنة 289 ابنه يحي بن زكرويه، وهو المكنى بأبي القاسم والملقب بالشيخ، وقد احتال عليهم وانتسب إلى السيد إسماعيل ابن الإمام الصادق صلوات الله عليه «وزعم لهم أن أباه المعروف بأبي محمود داعية له، وأن له بالسواد والمشرق والمغرب مائة ألف تابع، وأن ناقته التي يركبها مأمورة، وأنهم إذا اتبعوها في مسيرها ظفروا، وتكهن لهم، وأظهر عضدا له ناقصة وذكر أنها آية له، وانحازت إليه جماعة من بنى الأصبغ، وأخلصوا له وتسموا بالفاطميين، ودانوا بدينه»[23].

الشام

بعد أن وصل إلى السلطان خبر القرامطة في السماوة قصدهم سبك الديلمي مولى المعتضد العباسي بناحية الرصافة في غرب الفرات من ديار مضر سنة 289، فقاتلوه وهزموه، واحرقوا مسجد الرصافة، واستباحوا كل قرية اجتازوا بها حتى وصلوا إلى أعمال الشام، وكانت مقاطعة إلى هارون بن خمارويه واسند عملها إلى طغنج بن جف، فقاتل ابن زكرويه كل عساكر طغنج وانتصر عليها حتى حاصره في مدينة دمشق، فانفذ المصريون له بدر الكبير غلام ابن طولون، فاجتمع مع طغنج وقاتلوا القرامطة، وقتل يحيى بن زكرويه، قتله بعض البرابره حيث زرقه أحدهم بمزراق فاتبعه نفاط فزرقه بالنار فاحرقه، ثم دارت الحرب على المصريين، واجتمع بني العليص ومواليهم وجماعة من الأصبغيين وغيرهم وبايعوا ابن زكرويه الآخر المسمى بالحسين، الذي ادعى أنه أحمد بن عبد الله بن محمد بن إسماعيل ابن الإمام الصادق صلوات الله عليه، وكان شابا يبلغ نيف وعشرين سنة، وهو الملقب بصاحب الشامة أو الخال لشامة كانت في وجهه، وادعى أنها آيته، من ثم تلقب بالمهدي، وعهد إلى ابن عمه ابن عيسى بن مهرويه، ولقبه بالمدثر، وازعم أنه المقصود في السورة الشريفة، وقال للناس أنه عبد الله بن أحمد بن محمد بن إسماعيل بن الإمام الصادق صلوات الله عليه، ونصب غلاما من أهله على قتل اسرى المسلمين، ولقبه بالمطوق، وقد قاتل الحسين بن زكرويه المصريين وانتصر عليهم، وصالحه أهل دمشق على مال دفعوه له، وقصد حمص وأخذها من غير قتال لأن أهلها استسلموا له خوفا، وخطب له على منابرها، ثم قصد حماة ومعرة النعمان وغيرهما وقتل أهلها بما فيهم النساء والأطفال، وقصد بعلبك فقتل عامة أهلها[24]، «سار إلى سلمية فحاربه أهلها ومنعوه الدخول، ثم وادعهم وأعطاهم الأمان، ففتحوا له بابها فدخلها، فبدأ بمن فيها من بني هاشم، وكان بها منهم جماعة فقتلهم، ثم ثنى بأهل سلمية، فقتلهم أجمعين، ثم قتل البهائم، ثم قتل صبيان الكتاتيب، ثم خرج منها وليس بها عين تطرف فيما قيل، وسائر فيما حوالي ذلك من القرى يقتل ويسبي ويحرق ويخيف السبيل»[25].

21- تاريخ الطبري8: 201.
22- تاريخ الطبري8: 207.
23- تاريخ الطبري8: 214.
24- تاريخ الطبري8: 215.
25- تاريخ الطبري8: 218.

الشام مرة أخرى

بعد أن قتل المكتفي العباسي صاحب الشامة الحسين بن زكرويه -وسنذكر خلاصة مقتله تحت عنوان ضعفهم- ظهر أخ للحسين في الدالية من طريق الفرات، واجتمع عليه من الأعراب والمتلصلصة، فقصد بهم دمشق سالكا طريق التبرعات، فحارب أهلها وذلك في جمادى الأولى من سنة 293، وندب إليه الحسين بن حمدان بن حمدون في جماعة كبيرة من الجند، ثم ورد الخبر بأن القرمطي ابن زكرويه صار إلى طبرية فحارب أهلها حتى دخلها فقتل عامة أهلها رجالا ونساء ونهبها، ثم انصرف إلى ناحية البادية[26].

محاولة أخرى

لم يكتف زكرويه بن مهرويه بقتل أبنيه، فقد استمر بإرسال الدعاة، وكان له طمعا بقائل كلب، فبعد مقتل أبنه صاحب الشامة بعث بعض دعاته واسمه عبد الله بن سعيد ويكنى بأبي غانم، وهو معلم صبيان بقرية الزابوقة من عمل الفلوجة، وحتى يتخفى اسمى نفسه بنصر، بعثه إلى أحياء كلب، فلم يقبله منهم أحد سوى رجل من بني زياد ويسمى بمقدام بن الكيال، وقد استطاع أن يجذب طوائف من الأصبغيين وغيرهم العليصيين وصعاليك من سائر بطون كلب، وقصد بهم الشام مستغلا غياب عاملها أحمد بن كيغلغ الذي كان مقيما في مصر على حرب ابن الخليج، فسار القرامطة بقيادة عبد الله بن سعيد(نصر) إلى بصرى وأذرعات من كورتي حوران والبثنية، فحارب أهلهما ثم آمنهم، وبعد استسلامهم قتل مقاتلتهم، وسبى ذراريهم، ونهب أموالهم، ثم قصد دمشق وبعد حرب مع أهلها تركها إلى طبرية، وهي من أعمال الأردن، فقاتل يوسف بن إبراهيم عامل الأردن من قبل أحمد بن كيغلغ، فانتصر عليه واعطاه الأمان ثم غدر به وقتله، فنهب القرامطة الأردن، وقتلوا طائفة من أهلها وسبوا النساء، فأرسل لهم السلطان الحسين بن حمدان، فلما بلغ القرامطة قدومه إليهم فروا إلى السماوة، وتبعهم الحسين في البراري وهم كلما نزلوا ماء خربوها حتى لجؤا إلى مائين يعرفان بالدمعانة والحالة، فترك الحسين مطاردتهم لعدم توفر الماء لجنده وعاد إلى الرحبة، أمّا القرامطة بقيادة عبد الله بن سعيد فقد قصدوا هيت، ووصلوها صباحا في تسعة بقين من شعبان سنة 293، فنهبوها واحرقوا منازلها، وسلبوا السفن التي كانت في الفرات، وقتل جميع من رجالها ونسائها بل حتى من الصبيان، وأخذ مالا وافرا وكل ما يحتاجه وتركها ليومه، حيث دخلها عند شروق الشمس وخرج منها بعد المغرب إلى البرية. وقيل بل لم تقع معركة وقد احتمى أهل هيت بسورها، وأرسل السلطان على عجل بمحمد بن إسحاق بن كنداجيق لهم ففروا إلى المائين المذكورين[27]، وسنذكر نهاية عبد الله بن سعيد(نصر) تحت عنوان ضعفهم.

الكوفة مبتغى القرمطي

لم يقطع زكرويه الأمل من الانتصار فقد عاد وبعث لمن بقي من القرامطة في مائين الدمعانة والحالة داعية آخر من دعاته، واسمه القاسم بن أحمد ويعرف بأبي علي، وأخبرهم أن مقتل عبد الله بن سعيد قد أنفره عنهم وثقل قلبه عليهم، وأنهم قد ارتدوا عن الدين، وأن وقت ظهورهم قد حضر، وقد بايع له بالكوفة أربعون الف رجل، وفي سوادها أربعمائة ألف رجل، وأمرهم القاسم عن زكرويه أن يخفوا انفسهم ويظهروا أنهم يريدون الشام ويسيرون إلى الكوفة على أن يصلوها صبيحة يوم النحر أي عيد الأضحى وكان يوم الخميس سنة 293،

26- تاريخ الطبري8: 236.

27- تاريخ الطبري8: 236.

وهو يوم ظهوره وإنجاز وعده الذي أخبرتهم به رسله، ففعلوا ما أمروا، وكان ممن وصل إلى باب الكوفة ثمانمائة فارس أو قريبا منهم، وكان القائد الذبلاني بن مهروبه، وقد لقوا اناسا قتلوا منهم قرابة العشرين كوفيا وسلبوا جماعة منهم، فتبادر الناس إلى مدينة الكوفة وهم ينادون السلاح، فدخل من باب كندة قرابة المائة قرامطي، فنهض عامل الكوفة إسحاق بن عمران ومعه الكوفيون فقتل من القرامطة قرابة العشرين وفر الباقين خارج الكوفة فاتبعهم أهلها مع عاملهم، واستمرت المعركة حتى العصر من اليوم نفسه، ثم انهزم القرامطة نحو القادسية، فحرس الكوفيون كوفتهم واصلحوا سورها وخندقها، وكتب عاملها إلى السلطان يطلب المدد، وكان شعار القرامطة يا أحمد يا محمد ويعنون بهما أبنا زكرويه، ورايتهم بيضاء، ويدعون يا لثارات الحسين ويعنون به صاحب الشامة ابن زكرويه[28].

اليمن

استطاع داعية القرامطة في نواحي اليمن في شهر ربيع الآخر من سنة 293 أخذ مدينة صنعاء، بعد أن حارب أهلها وانتصر عليهم فتك بهم، و لم ينج منه إلا القليل، ثم تغلب على سائر مدن اليمن[29].

معاركهم

استعراض كل معاركهم يحتاج إلى إطالة لا تناسب هذه العجالة، وسنقتصر على ذكر نموذج من شجاعتهم، وطريقة قيادة يحيى بن زكرويه للقتال، «وكان يحيى بن زكرويه.. يركب جملا برحاله، ويلبس ثيابا واسعة، ويعتم عمة أعرابيه، ويتلثم، و لم يركب دابة من لدن ظهر إلى أن قتل، وأمر أصحابه... ألا يحاربوا أحدا وإن أتى عليهم حتى يبتعث الجمل من قبل نفسه، وقال لهم: إذا فعلتم ذلك لم تهزموا، وذكر أنه كان إذا أشار بيده إلى ناحية من النواحي التي فيها محاربوه انهزم أهل تلك الناحية، فاستغوى بذلك الاعراب»[30]، وقد ذكروا أن جيش القرامطة بقيادة أبي طاهر سليمان بن أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي ما كان يسمع لهم صوت، حتى إن الخيل لم تكن لها حمحمة، على العكس من جيش المقتدر العباسي - ومقدمهم يوسف بن أبي الساج - الذي كان له ضوضاء من الدبادب والأبواق حيث كانوا في عشرين ألفا، وكان القرامطة في ألف وخمسمائة، وعندما سمع أبو طاهر الضوضاء قال لبعض أصحابه: ما هذا الزجل - أي الجلبة وارتفاع الصوت -؟ قال: فشل، قال: أجل؛ «لان الغالب من الجبناء كثرة الضوضاء والجلبة يوم الحرب، كما أن الغالب من الشجعان الصمت والسكون» رشق عسكر ابن أبي الساج القرامطة بالسهام المسمومة، فجرح منهم أكثر من خمسمائة إنسان، وكان أبو طاهر في عمارية له، فنزل وركب فرسا، وحمل بنفسه ومعه أصحابه حملة عظيمة على عسكر ابن أبي الساج، فكسروه وفلوه وخلصوا إلى يوسف فأسروه، وتقطع عسكره بعد أن أتى بالقتل على كثير منهم، وكان ذلك في سنة خمس عشرة وثلاثمائة»[31].

جرائمهم

لا يستطيع الباحث في التاريخ، بل حتى المؤرخ حصر جميع جرائمهم، ونحن نكتفي بما أوردناه مجملا في ما تقدم، لكنا سنذكر قتلهم للحجيج وسلبهم الحجر الأسود، ومن يريد التوسع قد ذكرنا له مصادر مقالتنا هذه.

سلب الحجر الأسود

28- تاريخ الطبري8: 238، و240.

29- تاريخ الطبري8: 236.

30- تاريخ الطبري8: 218.

31- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد1: 238.

في سنة 317 دخل أبو طاهر سليمان ابن أبي سعيد القرمطي زعيم القرامطة في هجر إلى مكة المكرمة يوم التروية، فقتل الحجاج في المسجد الحرام وفي فجاج مكة وفي البيت قتلا ذريعا، وقلع الحجر الأسود، وأصعد رجلا من أصحابه لقلع مزراب الذهب فتردى الرجل على رأسه ومات، وسلب استار الكعبة وأموال الناس، وألقى الجثث في بئر زمزم، ودفن الباقين في أماكن مصارعهم في المسجد الحرام وفي غيره، واخذ ما سلبه وعاد إلى دياره ومعه الحجر الأسود، وقالوا: بأنهم أخذوه بأمر ولا يردونه إلى بأمر، وقد ردوه في ذي القعدة من سنة 339، وزعموا أن الذي أمرهم بأخذه أمرهم برده حتى يتم الناس مناسكهم[32]، نصبوه في مسجد الكوفة ثم في البحرين قبل رده، وقد جاء ذكر سرقة الحجر الأسود في بعض خطب أمير المؤمنين صلوات الله عليه وهو في مسجد الكوفة يشير إلى فتن تنطبق على ما فعله القرامطة، قال ابن أبي الحديد: «ومن عجيب ما وقفت عليه من ذلك قوله ـ في الخطبة التي يذكر فيها الملاحم، وهو يشير إلى القرامطة:(ينتحلون لنا الحب والهوى، ويضمرون لنا البغض والقلى، وآية ذلك قتلهم وراثنا، وهجرهم أحداثنا)، وصح ما أخبر به، لأن القرامطة قتلت من آل أبي طالب عليه السلام خلقا كثير، وأسماؤهم مذكورة في كتاب(مقاتل الطالبيين) لأبي الفرج الأصفهاني، ومر أبو طاهر سليمان بن الحسن الجنابي في جيشه بالغري وبالحاير، فلم يعرج على واحد منهما، ولا دخل ولا وقف، وفي هذه الخطبة قال ـ وهو يشير إلى السارية التي كان يستند إليها في مسجد الكوفة:(كأني بالحجر الأسود منصوبا هاهنا، ويحهم إن فضيلته ليست في نفسه، بل في موضعه وأسه، يمكث هاهنا برهة، ثم هاهنا برهة ـ وأشار إلى البحرين ـ ثم يعود إلى مأواه، وأم مثواه)، ووقع الأمر في الحجر الأسود بموجب ما أخبر به عليه السلام»[33]، وقدر روى أبو القاسم جعفر بن محمد بن قولويه في رد الحجر الأسود حادثة تأكد أن من نصبه في مكانه هو الأمام المهدي صلوات الله عليه، قال أبو القاسم «فلما وصلت بغداد في سنة تسع وثلاثين وثلاثمائة للحج، وهي السنة التي رد القرامطة فيها الحجر إلى مكانه من البيت، كان أكبر همي الظفر بمن ينصب الحجر، لأنه يمضي في أثناء الكتب قصة أخذه وأنه ينصبه في مكانه الحجة في الزمان، كما في زمان الحجاج وضعه زين العابدين عليه السلام في مكانه فاستقر، فاعتللت علة صعبة خفت منها على نفسي، و لم يتهيأ لي ما قصدت له، فاستنبت المعروف بابن هشام، وأعطيته رقعة مختومة، أسأل فيها عن مدة عمري، وهل تكون المنية في هذه العلة؟ أم لا ؟وقلت: همي إيصال هذه الرقعة إلى واضع الحجر في مكانه، وأخذ جوابه، وإنما أندبك لهذا، قال: فقال المعروف بابن هشام: لما حصلت بمكة وعزم على إعادة الحجر بذلت لسدنة البيت جملة تمكنت معها من الكون بحيث أرى واضع الحجر في مكانه، وأقمت معي منهم من يمنع عني ازدحام الناس، فكلما عمد إنسان لوضعه اضطرب و لم يستقم، فأقبل غلام أسمر اللون، حسن الوجه، فتناوله ووضعه في مكانه فاستقام كأنه لم يزل عنه، وعلت لذلك الأصوات، وانصرف خارجا من الباب، فنهضت من مكاني أتبعه، وأدفع الناس عني يمينا وشمالا، حتى ظن بي الاختلاط في العقل، والناس يفرجون لي، وعيني لا تفارقه، حتى انقطع عن الناس، فكنت أسرع السير خلفه، وهو يمشي على تؤدة ولا أدركه، فلما حصل بحيث لا أحد يراه غيري، وقف والتفت إلي فقال:(هات ما معك)، فناولته الرقعة، فقال من غير أن ينظر فيها: (قل له: لا خوف عليك في هذه العلة، ويكون ما لابد منه بعد ثلاثين سنة)، قال: فوقع علي الزمع حتى لم أطق حراكا، وتركني وانصرف، قال أبو القاسم: فأعلمني بهذه الجملة، فلما كان سنة تسع وستين اعتل أبو القاسم فأخذ ينظر في أمره، وتحصيل جهازه إلى قبره، وكتب وصيته، واستعمل الجد في ذلك، فقيل له: ما هذا الخوف؟ ونرجو أن يتفضل الله تعالى بالسلامة، فما عليك مخوفة، فقال: هذه السنة التي خوفت فيها، فمات في علته»[34].

ضعفهم

مات المعتضد العباسي سنة 290 فخلفه ابنه المكتفي، وقد كاتبه البصريون يشكون إليه ظلم صاحب الشامة، فأمر المكتفي في بداية شهر رمضان من السنة المذكورة بإعطاء الجند أرزاقهم والاستعداد إلى حرب القرامطة بناحية الشام، فاطلق للجند دفعة واحدة مائة ألف دينار، وعسكر –المكتفي ـ في باب الشماسة، وفي الليلة الثانية عشر عند السحر من شهر رمضان خرج إلى الحرب سالكا طريق الموصل، وانتشرت جيوش السلطان في ما بين حلب وحمص، وقامت الحرب بين الجيشين، حتى يوم

32ـ تجارب الأمم5: 279.

33ـ شرح نهج البلاغة10: 13.

34ـ الخرائج والجرائح 1: 475.

الثلاثاء السادس من المحرم سنة 291 وفي موضع يبعد عن حماة اثنا عشر ميلا التحم جيش السلطان وجيش القرمطي، وكان صاحب الشامة قد تخلف في جماعة من أصحابه ومعه مال قد جمعه، وانهزم القرامطة وقد عمل بهم السيف، ووقع منهم جمع كبير في الأسر، وفر الباقون في البوادي، واتبهم رجال السلطان، فلما رأى صاحب الشامة الهزيمة اعطى أخا له - يكنى أبا الفضل - مالا وأمره أن يتخفى في البوادي إلى أن يظهر في موضع فيصير إليه، وركب هو وابن عمه الملقب بالمدثر والآخر الملقب بالمطوق وغلام له رومي، وأخذ دليلا وسار إلى الكوفة، حتى وصل إلى موضع يعرف بالدالية من أعمال طريق الفرات فنفذ زادهم، فبعث بعض أصحابه ليشتري لهم ما يحتاجونه، فانكر أهل الدالية زيه وسألوه عن حاله، فمجمج، فاعلموا متولي المسلحة بخبره فركب ورائه في جماعة، وقبضوا عليه واخبرهم مكان صاحب الشامة وأنه خلف رابية مع ثلاثة نفر من صحبه فقبضوا عليهم[35]، وفي يوم الاثنين لأربع بقين من المحرم أدخل صاحب الشامة والمدثر والمطوق الرقة، ظاهرين للناس، وفي أول صفر ترك المكتفي جيشه مع محمد بن سليمان وقصد مع خاصته وخدمه بغداد وحمل معه الاسارى بما فيه صاحب الشامة والمدثر والمطوق، وفي صبيحة يوم الاثنين لليلتين خلتا من ربيع الأول دخلوا بغداد، وكان الاسرى على الجمال، وفي وسطهم المطوق، غلام ما خرجت لحيته، وكان ملجوما في خشبة مخروطة وضعت في فمه وشدت إلى قفاه حتى لا يشتم الناس؛ لأنه في الرقة صار يشتم ويبزق على الناس إن دعوا عليه[36]، «ثم أمر المكتفي ببناء دكة في المصلى العتيق من الجانب الشرقي، تكسيرها عشرون ذراعا في عشرين ذراعا وارتفاعها نحو من عشرة أذرع، وبنى لها درج يصعد منها إليها، وكان المكتفي خلف مع محمد بن سليمان عساكره بالرقة عند منصرفه إلى مدينة السلام، فتلقط محمد بن سليمان من كان في تلك الناحية من قواد القرمطي وقضاته وأصحاب شرطه فأخذهم وقيدهم.. فدخل بغداد وبين يديه نيف وسبعون أسيرا.. وأمر بالأسرى إلى السجن.. ولما كان يوم الاثنين لسبع بقين من شهر ربيع الأول أمر المكتفي القواد والغلمان بحضور الدكة التي أمر ببنائها، وخرج من الناس خلق كثير لحضورها، فحضروها وحضر أحمد بن محمد الواثقي، وهو يومئذ يلي الشرطة بمدينة السلام، ومحمد بن سليمان كاتب الجيش الدكة فقعدا عليها، وحمل الأسرى الذين جاء بهم المكتفي معه من الرقة، والذين جاء بهم محمد بن سليمان، ومن كان في السجن من القرامطة الذين جمعوا من الكوفة، وقوم من أهل بغداد كانوا على رأى القرامطة، وقوم من الرفوغ من سائر البلدان من غير القرامطة، وكانوا قليلا، فجئ بهم على جمال، وأحضروا الدكة، ووقفوا على جمالهم، ووكل بكل رجل منهم عونان، فقيل إنهم كانوا ثلثمائة ونيفا وعشرين، وقيل ثلثمائة وستين، وجئ بالقرمطي.. المعروف بصاحب الشامة ومعه ابن عمه المعروف بالمدثر على بغل في عمارية، وقد أسبل عليهما الغشاء ومعهما جماعة من الفرسان والرجالة فصعد بهما إلى الدكة وأقعدا، وقدم أربعة وثلاثون إنسانا من هؤلاء الأسارى فقطعت أيديهم وأرجلهم، وضربت أعناقهم واحد بعد واحد، كان يؤخذ الرجل فيبطح على وجهه فيقطع يمنى يديه ويحلق بها إلى أسفل ليراها الناس، ثم يقطع رجله اليسرى، ثم يسرى يديه، ثم يمنى رجليه، ويرمى بما قطع منه إلى أسفل، ثم يقعد فيمد رأسه فيضرب عنقه ويرمى برأسه وجثته إلى أسفل، وكانت جماعة من هؤلاء الأسرى قليلة يضجون ويستغيثون ويحلفون أنهم ليسوا من القرامطة، فلما فرغ من قتل هؤلاء الأربعة والثلاثين النفس، وكانوا من وجوه أصحاب القرمطي - فيما ذكر - وكبرائهم، قدم المدثر فقطعت يداه ورجلاه وضربت عنقه، ثم قدم القرمطي فضرب مائتي سوط، ثم قطعت يداه ورجلاه، وكوى فغشى عليه، ثم أخذ خشب فأضرمت فيه النار، ووضع في خواصره وبطنه فجعل يفتح عينيه ثم يغمضهما، فلما خافوا أن يموت ضربت عنقه، ورفع رأسه على خشبة» ثم ضربوا اعناق باقي الأسرى، «فلما كان من غد هذا اليوم حملت رؤس القتلى من المصلى إلى الجسر، وصلب بدن القرمطي في طرف الجسر الأعلى ببغداد وحفرت لأجساد القتلى في يوم الأربعاء آبار إلى جانب الدكة وطرحت فيها وطمت، ثم أمر بعد أيام بهدم الدكة ففعل»[37]، هذا خبر القرامطة في الشام من اتباع صاحب الشامة، أمّا اتباع عبد الله بن سعيد فأنهم بعد لجوئا إلى المائين المعروفين بالدمعانة والحالة تبعهم محمد بن اسحاق بعد أن جاءه مدد السلطان العباسي، وكتب إلى الحسين بن حمدان أن يتوجه بجيشه من الرحبة إليهم، وما أحس الكلبيون بدنوا

35- تاريخ الطبري8: 225.

36- تاريخ الطبري8: 228.

37- تاريخ الطبري8: 229.

الجيش منهم حتى غدروا بقائدهم عبد الله بن سعيد، فقتله رجل منهم يدعى الذئب بن القائم، وقطع طلائع محمد بن اسحاق رأسه وأخذوه إلى بغداد وذلك في سنة 293، وبعد مقتل ابن سعيد دبت الفتنة بينهم واريقت الدماء، فصار مقدام بن الكيال إلى ناحية طي، وفرقة منهم صارت إلى بني أسد في نواحي عين التمر، وأرسلوا إلى السلطان وفدا واعتذروا على ما بدا منهم وطلبوا مجاورة بني أسد، فقبل عذرهم واجابهم لما أرادوا، وبقيت منهم باقية على المائين المذكورين ثابتة على العقيدة القرمطية[38]، وأمّا أصحاب الذبلاني بن مهروبه فقد طردهم إسحاق بن عمران عامل الكوفة إلى القادسية في يوم عيد الأضحى من سنة 293، وقد بعث له السلطان المدد الذي طلبه منه في يوم الخامس عشر من ذي الحجة من السنة ذاتها، فقصد المدد ومن معهم من القبائل إلى القادسية وتركوا إسحاق بن عمران مع الكوفيين لحماية كوفتهم، فقصدوا الصوأر، وهي منطقة تبعد عن القادسية أربعة أميال، وفي بداية العشرة الأخيرة من ذي الحجة نشبت الحرب بينهما، وكانت الدائرة على القرامطة، غير أن دهاء زكرويه حال دون النصر، حيث كان كامنا خلف عسكر السلطان فلما انتصف النهار خرج الكمين، وعندما رأى الجيش القرامطة خلفهم وفيهم السيف انهزموا، واثخن القرمطي بهم القتل ولم يفلت منهم إلا من كان في دابته فضلا أو من اخذته الجراح واستلقى بين القتلى، وقد قاتل مجموعة من جند السلطان تقارب المائة فيهم من غلمان الحجر من الخزر حتى قتلوا أجمعهم بعد أن اكثروا القتل بالقرامطة، فجمع القرامطة ما سلبوه من المعركة وعمدوا إلى بيادر كانت قريبة منهم ونهبوا منها طعاما وارتحلوا إلى نحو خمسة أميال بالقرب من نهر المثنية؛ لأن رائحة القتلى آذتهم، وقيل في موضع المعركة وتفاصيلها غير هذا[39]، «وأنفذوا إلى عدو الله زكرويه بن مهرويه من استخرجه من نقير في الأرض كان متطمرا فيه سنين كثيرة بقرية الدرية.. واعترف لزكرويه جميع من رسخ حب الكفر في قلبه من عربي ومولى ونبطي وغيرهم أنه رئيسهم المقدم، وكهفهم، وملاذهم، وأيقنوا بالنصر وبلوغ الأمل، وسار بهم، وهو محجوب عنهم يدعونه السيد، ولا يبرزونه لمن في عسكرهم، والقاسم يتولى الأمور دونه ويمضيها على رأيه.. وذكر عن بعض من ذكر: أنه حضر مجلس محمد بن داود بن الجراح وقد أدخل إليه قوم من القرامطة، منهم سلف زكرويه، فكان مما حدثه أن قال: كان زكرويه مختفيا في منزلي في سرداب في داري عليه باب حديد، وكان لنا تنور ننقله، فإذا جاءنا الطلب وضعنا التنور على باب السرداب وقامت امرأة تسجره، فمكث كذلك أربع سنين، وذلك في أيام المعتضد، وكان يقول لا أخرج والمعتضد في الاحياء، ثم انتقل من منزلي إلى دار قد جعل فيها بيت وراء باب الدار، إذا فتح باب الدار انطبق على باب البيت فيدخل الداخل فلا يرى باب البيت الذي هو فيه، فلم يزل هذه حاله حتى مات المعتضد، فحينئذ أنفذ الدعاة وعمل في الخروج»[40]، وأمّا من كان من القرامطة في اليمن فقد ورد كتاب على السلطان قرئ على المنبر في بغداد يوم الليلة الثانية عشر من رجب سنة 293، مفاده أن أهل صنعاء وباقي مدن اليمن ثاروا على القرمطي وحاربوه فهزموه، وانحاز إلى موضع في نواحي اليمن[41]، أمّا قرامطة هجر فقد دب الخلل فيهم وضعفوا بعد أن تحاسد رجالاتهم، ففي سنة ست وعشرين وثلاثمائة كاد ابن سنبر - وهو من خواص أبي سعيد القرمطي والمطلعين على سره - لعدوه، وهو كذلك من رجالات القرامطة، واسمه أبو حفص الشريك، فاتفق ابن سنبر مع رجل من أصبهان، «وقال له: إذا ملكتك أمر القرامطة أريد منك أن تقتل عدوي أبا حفص، فأجابه إلى ذلك وعاهده عليه، فأطلعه على أسرار أبي سعيد، وعلامات كان يذكر أنها في صاحبهم الذي يدعون إليه، فحضر عند أولاد أبي سعيد وذكر لهم ذلك، فقال أبو طاهر: هذا هو الذي يدعو إليه، فأطاعوه ودانوا له حتى كان يأمر الرجل بقتل أخيه فيقتله، وكان إذا كره رجلا يقول له أنه مريض يعني أنه قد شك في دينه ويأمر بقتله، وبلغ أبا طاهر إن الأصبهاني يريد قتله ليتفرد بالملك، قال لإخوته: لقد أخطأنا في هذا الرجل، وسأكشف حاله، فقال له: إن لنا مريضا فانظر إليه ليبرأ، فحضروا، وأضجعوا والدته، وغطوها بازار، فلما رآها، قال: إن هذا المريض لا يبرأ فاقتلوه، فقالوا له: كذبت هذه والدته، ثم قتلوه بعد أن قتل منهم خلق كثير من عظمائهم وشجعانهم»[42]. ولم ينتهي أمر القرامطة كليا لأنهم انتشروا في أرجاء البلاد الإسلامية، ولهم وجود في جبل الكلبية باللاذقية، وفي نجران باليمن، واندمج أكثرهم في باقي فرق الإسماعيلية والنصيرية وغيرهما من طوائف الباطنية[43].

38- تاريخ الطبري8: 238.

39- تاريخ الطبري8: 239.

40- تاريخ الطبري8: 341.

41- تاريخ الطبري8: 242.

42- الكامل في التاريخ8: 351.

43- الأعلام5: 194.

طلال سلمان

كاتب وصحافي لبناني

بقلم: سليم الجبوري

لم يكن متوقعاً في يوم من الأيام أن تقفل جريدة السفير اللبنانية، ولم يدر بخلدي وخلد الكثيرين من المتابعين والمشتركين لها أن تنطوي صفحة من صفحاتها وتصبح نسيًا منسيًا وتكون من الارشيف الصحافي اللبناني، لكنني فوجئت في صباح يوم بيروتي أن أتلقى اتصالاً هاتفياً من صديق تربطني به علاقة وثيقة يحدثني بأن الأستاذ طلال سلمان أعلن اليوم عبر تصوير مسجل إنهاء خدمته في الجريدة لأسباب مادية وسياسية تعصف في المنطقة، وفي كلمته التي نعى فيها الصحيفة بأسلوب حزين يدلل على أن الرجل يرثي عزيزاً فقده، فجعت انا كما فجعت الاوساط اللبنانية والعربية مَن عاش في أجوائها، واستلهم معاني الثقافة من هوامشها، يومها اغرورقت عيناي بالدموع واسترجعت أياماً مهمة وخالدة في حياتي، كانت(السفير) تمثل المتنفس الرائق لتصحيح أفكاري ونموها وتلاقح النظرات المتناقضة، ولا أبالغ إذا قلت: إنها كانت زميلتي وحبيبتي ورفيقة دربي تمسح عني غربتي الحادة؛ فأنا الذي وجدت فيها من الوفاء والزمالة حيث ساهمت في تجربتي الثقافية والصحافية.

> مبدع برز من خلال عصامية فائقة وحنكة في العمل المؤسساتي حاور رؤساء وشخصيات مهمة، تعرض إلى التصفية والاعتقال أكثر من مرة

عـدت استرجـع ذكرياتـي الأولى وكيـف تعرفـت عليهـا في زياراتي لها وكيـف كان الأستـاذ يستقبلنـا بحفاوة بالغة، وكيف كان الأستاذ «محمد حسنين هيكل» حـين كان يزور لبنان يحل ضيفاً عليها

إغـلاق السفـير شكّلـت خسـارة فادحة ليس للصحافة اللبنانية فحسب بل للصحافة العربيـة، وإن رحلت وأغلقت الصحيفـة، ستبقـى في ضميرنـا وقلوبنا ولاحظت أسرة السفـير وهي تبكي على مغادرتهـا وكيف أن تغلـق هذه الصفحة من حياتهـم وأفكارهم. فتجربة(السفير) تعد من التجارب المهمة في عالم الصحافة اللبنانية.

امتلك رؤى وعقليـة ناجحة انبثقت مـن خـلال تجربتـه الشخصيـة وشبكـة علاقـات واسعـة استمدهـا مـن خلال رحلته القلقة مع عالم الصحافة والإعلام، صحيـح أن الاستـاذ طـلال سلمـان لم يدرس الصحافة في كليـات الاعلام في الجامعـات اللبنانيـة لكنـه جـد واجتهد وتحمل أعبـاء مهنة المتاعب، وفهم جوهر القضيـة واكتـوى بنيرانهـا، واستلهـم المبـاني الأساسيـة وقبله كانـت الصحف والمجـلات منغلقة على حالهـا وأعراقها الطائفيـة، وتـدور حـول فلـك واحد، لذلـك كان الأستـاذ طلال سلمـان يعي جيداً هذه الأمور، فكان مبتكراً مشروعاً جديـداً في صوت الذيـن لا صوت لهم، فكانت صحيفة لبنـان في الوطن العربي وصوت الوطن العربي في لبنان، و لم يكن شعـاره ترفاً صحفياً بل كان يمثل مشروعاً حيويـاً تقدميـاً، مستقطبـاً شخصيـات رائـدة من مصريـين وعراقيـين وسوريين وغالبية لبنانيـة، فاتحاً لهـم منبر(السفير) والـذي يمثل عمـق صحافي ملتـزم يعنى

بهمـوم الأمـة، وكان من أبـرز المؤيدين له والداعمـين لمشروعه الراحـل الأستاذ «محمـد حسنـين هيـكل»، وأصبحـت تجربة (السفير) رائـدة ومؤثرة، واحتلت في أفـكار جمهـورٍ واسـعٍ مـن المتابعين منزلـةً مميزةً، وصـارت تنافس الكثير من المطبوعـات القديمـة والحديثـة، واعتـبر الكثير من الباحثـين والعاشقين للصحافة بأنهـا مثلـت طموحاتهـم وأمنياتهـم، وتنوعـت الكتابـات من أدبيـة وسياسية واجتماعيـة ووجـد الكتـاب المبدعـون مكانهم الحقيقي فيها.

في رحاب طلال سلمان

في سجلات الأفذاذ العرب المعاصرين احتل موقعـه الحقيقي ضمن أبـرز وأهم الصحافـيين اللبنانيين الذين دوى صوتهم وشغل فكر المؤيديـن والمخاصمين، على الرغم من كونه صحفيـاً وناشراً لصحيفة لبنانية فهـو عاشق للشعر ومحـب للثقافة وداعمـاً لمسيرة الأدبـاء والمفكرين، كلما قرأت وشخصـت واطلعت على مراحل مسيرتـه وجدتـه يعيش بين ثنايـا التراث والمعاصـرة والقلم والممانعـة، لا يهدأ من على الطريـق يجوب الأفكار والأحداث يتسلل مـن خلالها، ويضيء الطريق علينا حامـلاً إلينا فنجـان قهوة معتقـة بالفكر والتنويـر، لم يتعـب مـن قلمـه وتحليلاته وطرحه ووجعـه العربي، كانت فلسطين وما تزال شغلـه الشاغل فكان يبحث من بقاعه وجنوبه وشماله.

حرص شجـرة الأرز والزيتـون إلى ذلك الوطـن السليب، كنـت عندما أقرأ افتتاحياتـه الصباحية أقفـل ما عندي من أفـكار، أفكـر وأغـور في كلامـه كلمة كلمـة، ثـم أعرضها للتحليـل والفحص

حتـى تخيلت أن فلسطين حفرها في قلبه وطريقه.

من يقرأ تاريخه قراءة موضوعية يجده ذلك المحـارب القديم القادم مـن المأساة والحرمان والأوجـاع المستمرة، تلاحظ أنـه يتحدر من بيئة كتب عليها أن تتحمل التهميش والإقصاء وهذه معادلة مهمة في صياغة شخصيته، بأنه ولد وعاش من الألم لذلك حاول أن يتمرد على واقعه ويعيش حالة من التفـاؤل ورسم ملامح مستقبله بالتحدي والعنفوان، وإذا رأيت ثم رأيت الشـاب البقاعـي الذي جـاب الصحف والمجـلات حامـلاً قمـه بيـده وأوراقـه الصفراء يسجل كل شاردة وواردة، وهو بذلـك يؤسس لنهج صحـافي يجمع بين الناصرية والتقدمية والعروبة والاسلام.

أسبـاب عديـدة مكنتـه مـن تجـاوز العقبـات الخانقـة أهمهـا إصـراره على التواصل وشق الطريق بكل السبل المتاحة وقـوة الإرادة والشعـور بالمسؤوليـة، والعصامية المفرطـة، والطموح الشديد، والشخصيـة المتواضعـة الهادئـة جـداً، ونفس مطمئنة وثقة عاليـة مع رؤية ثاقبة في تشخيص الحالات المستعصية.

مـن رأى الأستـاذ طـلال سلمـان وعايشـه عن قـرب يعرف جيـداً أسلوبه في الحياة، بـلا تعجب ولا فخفخة ترابي الاتجـاه، يسمع كثـيراً ويستفيد من نقاده ويحلـل ماذا يريـدون، يستوعب الخصم ويمتصـ غضبه، وفي نفسـ الوقت يفكر كيـف يعالج الموقف، وهـو محنك مخضرم قـرأ الأحـداث جيـداً وخـبر الأوضاع السياسيـة في البلاد العربيـة، وعرف أن التعاطـي مع هـذه الجماهير يحتـاج إلى

قلب كبير يتحمل هواجس الناس، أجرى حوارات لرؤساء وشخصيات بارزة في لبنان والوطن العربي مكنته من أن يؤسس طريقاً سالكاً للصحافة العربية، ويصبح أحد أعمدتها وكتابها المرموقين.

قديماً كانت الصحافة اللبنانية محتكرة على بعض العائلات الاقطاعية التي كانت تهيمن على قطاع الصحافة، باعتبارها مميزة ولا يمكن لأي أحد تجاوز هذه المعادلة، فكان انحيازها اللبناني واضحاً جداً، إلا أنه كسر هذه المعادلة الوراثية وهو في ذلك كسر الحواجز الكونكريتية، وعبر حقول الألغام دون أن يتسبب في انفجار أي لغم عليه.

وتعرض طلال سلمان إلى حملات تنافسية أوشكت أن تنهي حياته وتعرض إلى محاولة اغتيال مروعة لكنه بقي صامداً مواصلاً مشواره وأدى ما عليه من واجب تجاه أمته.

على جدار الصحافة العربية واللبنانية كتب اسمه بأحرف من ذهب، ووهب محبرته وتطلعاته ضمن محاور الوطنية والوقوف إلى جانب المحرومين، وسيكتب التاريخ عنه أن هذا الرجل العتيد والصحافي القدير استطاع أن يحقق أحلامه وتطلعاته بكل فخر واعتزاز، نعم؛ اسمه سيبقى يشغل الكثير من الباحثين والدارسين وسوف تكتب الرسائل الجامعية كما كتبت عنه.

من البقاع اللبناني كانت البداية

في شمسطار إحدى بلدان البقاع الجميلة وسهول بعلبك أبصر النور طلال سلمان عام(1938م) من والدين بقاعيين، والده الدركي الذي ينظر به طلال سلمان دوماً وكان يعتبره صديقه

ورفيق دربه، فهو الـذي ساعده وشجعه ووفـر لـه كل الامكانيـات المتاحـة في تشجيعـه، وكان يوفر له الكتب ويشجعه على المطالعـة، عاش الطفـل البقاعي مع عائلته المكونـة من أربع أشقاء وشقيقتين، كانـت الحيـاة لديهم قلقة وغـير مستقرة وشهـدت تنقلات عديـدة بسبب خدمة الوالـد الدركي مـن رأس بعلبك وعين زحلتا ورشيما وبعقلين ودير القمر والمتين وطرابلس والمتينة والصيدة ولاحظ الطفل هذه التنقلات بـين مدارس متعددة حتى أنهى مرحلة الثانوية عام(1955م).

ومنـذ كان صبياً عشق الكتاب وكان رفيق دربه، واستلهم في مطالعاته المتنوعة ثقافات عديدة وميز ما بين الآراء والأفكار المتنوعـة، وبدأ يعيشـ الوعـي السياسي والثقـافي، ويلاحظ نكبة فلسطين وعاش أيامها الحزينـة وتطلع وأعجب بشخصية جمـال عبـد الناصـر وتأثـر في أسلوب خطابـه في أول شبابـه وكان لديـه مـن العمـر ثمانية عشر، توجه ذلـك البقاعي إلى بيروت تلاحقه عنـوان الغربة والفقر والحرمـان وهـو لا يملك أيـة مهنة تذكر سـوى إلمامـه باللغـة العربيـة وأنـه لديه مطالعات في هذا المجـال، ووجد ضالته في(جريـدة الشـرف) مصححـاً ومدققاً لغوياً وكانت هـذه الصحيفة تصدر ظهر كل يوم في بيروت وفي نفس الوقت كان يتابع دراسته في المدرسة العاملية، كما أنه عمل مخبراً في نفس الجريدة يطوف مراكز الشرطـة والإطفائية يتابع حوادث الجريمة والحرائق والسلب والنشل والانتحار.

عام(1957م) تعرف على الصحافي الشهير المرحوم سليم اللوزري من خلال والده الذي كان يحرس زنزانته في سجن الكرنتينا، فتح له المجال في مجلة الحوادث مصححـاً ومحـرراً لصفحة بريـد القراء،

وعمل كذلك في تركيب الصفحات وإخراجها في صف الحروف يدوياً.

ويومًا بعد يوم أصبحت مهاراته الصحفية تتطور، وقدر له أن يقوم بالتحقيقات والريبوتاجات والمقابلات الصحفية مع الشخصيات السياسية في لبنان.

قالوا في السفير والأستاذ طلال سلمان

الرئيس سليم الحص:

«جريدة «السفير» ومنذ انطلاقتها الأولى اعتمدت الخط القومي العربي، وتمسكت برفع راية فلسطين عالياً مدافعة عن حق الفلسطينيين، كما يسجل لـ«السفير» أنها تكاد تكون الجريدة الوحيدة في الوطن العربي التي خصت أحوال فلسطين والفلسطينيين عبر صفحاتها اليومية حتى إنها أصبحت مرجعاً مهماً لكل من رغب في متابعة أخبار فلسطين ونضالها واحوالها ومعاناتها وعذاباتها ومقاومتها العدو الصهيوني، فيما غيبت فلسطين كما غيب اسمها عن مجمل صفحات الصحف الصادرة في وطننا العربي، ولا غلوّ في القول إن بعضا من تلك الصحف قام باستبدال كلمة فلسطين بكلمة إسرائيل في نية خبيثة واضحة تهدف إلى طمس القضية الفلسطينية عن الذاكرة، أما جريدة «السفير» فقد ثبتت على خطها العربي الذي تميزت به منذ انطلاقتها وحافظت على ابقائه حياً في ضمير الإنسانية وذاكرتها..

خلال السنوات التي توليت فيها المسؤولية تعرفت إلى الأستاذ طلال سلمان، ومنذ اليوم الأول جمعتنا مبادئ

السفير

نجا طلال سلمان... والسفير مستمرة

إجماع سياسي على إدانة محاولة الاغتيال والصحافة اللبنانية تحتجب الثلاثاء استنكارًا

العروبـة والقوميـة التـي زرعهـا الزعيم العربـي الراحـل «جمال عبـد الناصر»، فكان طلال سلمان الحالم بتحقيق القومية العربيـة انطلاقًا من ضـرورة تنفيذ العمل العربي المشترك الحامل لهموم الأمة الممزقة والغائبة عن ساحات ومراكز القرار بقلب يمـلأه الألم وتعتصره الحسـرة على ما آلت إليه حال الأمة من تفكك وتشرذم تتحكم بها خلافات متفاقمة، تحول دون إمكانية انعقاد مؤتمر قمة عربي لبحث ما آلت إليه حالنـا العربية في مواجهـة التطبيع المعلن وغير المعلن مع العـدوّ الإسرائيلي وتسلل هذا العدوّ الغاصب إلى مجتمعنا العربي.

طلال سلمان دأب على التواصل معي من خلال الاتصال الهاتفي شبه اليومي أو من خلال زياراته المتكـررة مواظباً عليها حتى يومنا هذا للمشورة وتداول همومنا الوطنية والعربية المشتركة».

فيرا يامن:

«مـا ذنبنـا إذا أدمّنا القـراءة ولو كنا نظـرًا للموضـة متخلّفين، مـاذا ارتكبنا لنعاقـب ونحاكم من غير التماس أو حتى استئناف؟

أي خطيئـة عظيمـة اقترفناهـا لكي لا نعطـى حـق المغفـرة وبـدل الرجوع إلى القضـاء، كأن القـرار بالقضـاء علـى عادة صباحية نقرأهـا بالعينين أو نتأبطها زوادة أو نستلقي مسـاء على ضوء بعض مقالاتها؟

يطالعنـا «المانشيـت» فنسـرع إلى المضمـون، تغرينـا العناويـن فنغوص في المكتـوب. نتنقّـل بـين مقالـة وأخرى، تسترعينا واحـدة ونهمل أخرى، نركض بـين السطـور، نتسلّق العواميـد، نتسلّل إلى الثقافة، وتسحبنـا الرياضة. فلسطين

دائماً موجودة على خريطتها بالسياسة أو الاقتصاد، بالتحليل أو الثقافة، بالنص أو بالقصيدة. ودائماً تبحث عن حبر ناشرها تقاطعت معه أو اختلفت، لكنّ لحبر طلال سلمان مذاقاً خاصاً، لم يجنح يوماً عن عروبة اعتنقها، ولا أغفل فلسطين وإيمانه بها، ولم يعلق بشباك الطائفية التي اصطادت معظمنا، وفي كل حين كان القرار بالكلمة المقاومة الحاضنة والناشرة للمقاومة، نعم لها في الميدان، وفي السياسة النقاش مشروع وضروري وحيوي.

لن نقول إن «السفير» لم ترتكب أخطاء، ولكنها أبدا لم تقترف خطايا. لن نقول إنها لم تنزلق إلى بعض إغراءات، ولكنّها أبدا لم تسقط في فخّ المرسوم للمنطقة، وهي إن أخطأت في التقدير ولكنّها لم تكن يوماً مساحة للتقرير.

واليوم نودّعها وكأننا نطفئ مصباحًا من مصابيح الكلمة التي تكاد تغرق في العتمة.

قد يقول قائل إن الصحافة الورقية في كل العالم إلى زوال، وكأن أجيالًا بكاملها إلى اضمحلال، وكأننا جنس ينقرض ولم يبق منّا إلا الحطام.

ولكن حتى ولو رضخنا إلى هذه المقولة، فإن «السفير» لم تستبدل المكتوب بالالكتروني، بل طوت عمرها وبعضًا من عمرنا تاركة للفراغ مساحة من الضجيج، وقبلها «النهار» ناص قنديلها ويكاد ينطفئ، إلى يوميات أخرى ولو أنها لم تجاور يوماً «سفيرنا» أو «النهار».

لم يكن ينقصنا إلاّ هذا الرحيل لكي تكتمل فصول رواية تشرّدنا وتسكّعنا.

أكتب هذه الكلمات كمن يرثي وطنا أبكم، وشعبا أصمّ. كيف لي أن أبدأ صباحاتي وأنا التي أسأل كل صباح عن «السفير» لأقرأ الجريدة».

صقر ابو فخر:

«قصة «السفير» هي نفسها قصة طلال سلمان بتفصيلاتها الجميلة وعذابات التأسيس ونشوة التحقق. إنها حكاية الحلم الذي صار حقيقة، ثم بات تاريخاً. وكانت تجربة طلال سلمان في ميدان الصحافة قد تبلورت، بالدرجة الأولى، في المجلات الأسبوعية، لذلك كان سعيه إلى إصدار جريدة يومية تحدياً متعدد الوجوه، ولا سيما أن لبنان كان يشهد في حقبة ما بعد هزيمة حزيران 1967 ازدهاراً إعلامياً كبيراً، وكان يزدهي بكثير من الصحف ذات الانتشار الواسع كـ «النهار» و«الأنوار» و«المحرر» و«الجريدة» و«لسان الحال» وغيرها. وفي هذا المناخ تمكنت «السفير» منذ صدورها من أن تخترق عالم المنافسة، والتزمت أن تقول ما لا يستطيع الآخرون أن يقولوه، لكن من موقع وطني وقومي عربي وتقدمي في آن.

بدأ الإعداد لإصدار «السفير» في حزيران 1973، وتألفت المجموعة الأولى من بلال الحسن وياسر نعمة اللذين عرفا طلال سلمان وتعرفا إليه في مجلة «الحرية» الناطقة باسم «حركة القوميين العرب»، ومن الصحافي المصري إبراهيم عامر الذي استشهد محترقاً في سنة 1976، فضلاً عن محمد مشموشي والياس عبود والرسام المصري حلمي التوني. وبعد جهد مضنٍ صدر العدد الأول في 26/3/1974 وهو يحمل شعار «جريدة لبنان في الوطن العربي وجريدة الوطن العربي في لبنان»، وإلى جانبه شعار رديف هو «صوت الذين لا صوت لهم». وتضمّن مقابلة مطوّلة مع ياسر عرفات. ومن المعلوم أن الصياغة النهائية لشعار «صوت الذين لا صوت لهم» وقع على عاتق إبراهيم عامر، بينما صمم «الماكيت» الفنان حلمي التوني الذي رسم أيضاً «الحمامة البرتقالية» وبدت كما لو أنها تطوير، ووضع الخط محمود برجاوي. وكان الامتياز القانوني لجريدة «السفير» امتيازاً أسبوعياً في الأساس، ويمتلكه الياس الحويك، وقد أمكن التغلب على هذا العائق باستئجار امتياز جريدة «الهدى» الذي ورثه باسم السبع وإخوته عن والدهم الصحافي أحمد السبع. وفي أثناء ذلك انضم باسم السبع إلى «السفير» وصار من أركانها قبل أن تستدرجه السياسة إلى عوالمها».

عباس بيضون:

«هكذا كانت «السفير» الأولى التي أنشأت صفحة قضايا. وصفحة قضايا هي محل هذا الفكر السياسي الذي باتت مصدره. كان هذا جديداً ولا شك، إيجاد فكر سياسي يومي وتحويل السياسة إلى فكر وإلى مسألة ثقافية. لم تكن «السفير» الأولى في ابتكار صفحة ثقافية، لكنها كانت الأولى في إيجاد صفحة ثقافية للسياسة. هكذا لم تكن السفير جريدة تتضمن الثقافة بل غدت في صفحاتها كلها تقريباً صحيفة ثقافية. فقد غلب التحليل والتنظير والنقد حتى على رواياتها الإخبارية، التطلب الثقافي كان مهيمناً لدى محرريها الذين جاؤوا في قسم كبير منهم من اليسار الجديد الذي كان في الأغلب تياراً فكرياً وتجمعاً ثقافياً. هذا ما طبع الجريدة كلها التي حملت تلاوين هذا اليسار وتطلباته».

كتاب
سيكولوجية الجماهير

بقلم: عدنان الياسري

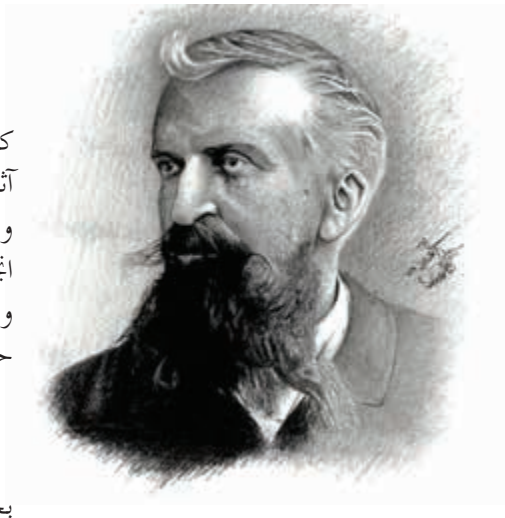

الكاتب

غوستاف لوبون طبيب ومؤرخ فرنسي، عمل في أوروبا وآسيا وشمال أفريقيا، كتب في علم الآثار وعلم الانثروبولوجيا، وعني بالحضارة الشرقية. من أشهر آثاره: حضارة العرب وحضارات الهند و«باريس ١٨٨٤» و«الحضارة المصرية» و«حضارة العرب في الأندلس» و«سر تقدم الأمم» و«روح الاجتماع» الذي كان انجازه الأول، وهو أحد أشهر فلاسفة الغرب وأحد الذين امتدحوا الأمة العربية والحضارة الإسلامية، لم يسر غوستاف لوبون على نهج معظم مؤرخي أوروبا، حيث اعتقد بوجود فضل للحضارة الإسلامية على العالم الغربي.

ولادته

ولد في مقاطعة نوجيه لوروترو، بفرنسا عام ١٨٤١م. درس الطب، وقام بجولة في أوروبا وآسيا وشمال أفريقيا اهتم بالطب النفسي وأنتج فيه مجموعة من الأبحاث المؤثرة عن سلوك الجماعة، والثقافة الشعبية، ووسائل التأثير في الجموع، مما جعل من أبحاثه مرجعًا أساسيًا في علم النفس، ولدى الباحثين في وسائل الإعلام في النصف الأول من القرن العشرين.

اسهاماته

أسهم في الجدل الدائر حول المادة والطاقة، وألف كتابه «تطور المواد» الذي حظي بشعبية كبيرة في فرنسا وحقق نجاحًا كبيرًا مع كتابه «سيكولوجية الجماهير»، ما منحه سمعة جيدة في الأوساط العلمية، اكتملت مع كتابه الأكثر مبيعًا «الجماهير: دراسة في العقل الجمعي»، وجعل صالونه من أشهر الصالونات الثقافية التي تقام أسبوعيًا، لتحضره شخصيات المجتمع المرموقة مثل: «بول فالري»، و«هنري برغسون»، و«هنري بوانكاريه». عرف بأنه أحد أشهر فلاسفة الغرب الذين أنصفوا الأمة العربية والحضارة الإسلامية، فلم يسر على نهج مؤرخي أوروبا الذين صار من تقاليدهم إنكار فضل الإسلام على العالم الغربي، لكن لوبون الذي ارتحل في العالم الإسلامي وله فيه مباحث اجتماعية، أقر أن المسلمين هم من مدنوا أوروبا، فرأى أن يبعث عصر العرب الذهبي من مرقده، وأن يبديه للعالم في صورته الحقيقية؛ فألف عام ١٨٨٤م كتاب «حضارة العرب» جامعًا لعناصر الحضارة العربية وتأثيرها في العالم، وبحث في أسباب عظمتها وانحطاطها.

وفاته

توفي في ولاية مارنيه لاكوكيه، بفرنسا ١٩٣١م.

الكتاب

هو من الكتب المهمة في علم النفس الاجتماعي، والتي تحظى دائمًا بقراءات متعددة كتاب «سيكولوجية الجماهير» لعالم الاجتماع الفرنسي «غوستاف لوبون»، لقد حققت نظرياته المتعلقة بسلوك الجماهير وسيكولوجية العقل الجمعي، نجاحًا باهرًا في مجال علم النفس الاجتماعي، ولا تزال حتى يومنا هذا مرجعًا أساسيًا ومهمًا لعلماء النفس والاجتماع وصناع القرار وكل من يبحث في سبل التأثير على الجماعة وتوجيه وعيها، أو مخاطبتها بموهبة تتخطى أحياناً منطق العقل الفردي، إنه كتاب يصف حال الجماهير أثناء الثورات والاضطرابات بشكل دقيق جدًا ويفسر سلوكهم.

مضمون الكتاب

أولاً منهجية غوستاف التشخيصية: لم يلجأ غوستاف لوبون في منهجيته التشخيصية إلى علم التاريخ ولا إلى علم الاقتصاد، وإنما إلى علم النفس، الذي أثبت أن هناك «روحاً واحدة للجماهير»، تخضع لإيعاز قائد أو محرك يديرها ويسيطر عليها. إنها الذهنية المشتركة التي تتمتع بها الجماعة في أوقات اتحادها فما إن ينخرط الواحد في المجموع حتى يتغير وينصهر، هكذا خلص إلى أن مناهج التحليل النفسي الخاصة بالأفراد مختلفة عن تلك المناهج الخاصة بالجماعات، لجهة أدوات التحليل والتقنيات والاستنتاجات، فالشعوب بالمحصلة أشبه بكارثة طبيعية مفاجئة، غير قابلة للتخاطب في سياقها اللاواعي، الثورات، والحشود، وحتى حشود كرة القدم، وجمهور وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة، كلها ظواهر خاضعة للآلية والخطورة نفسيهما، لأن الكل كانوا ولا يزالون ينضوون تحت تسمية واحدة ويتحركون ضمن سيكولوجية واحدة هي: سيكولوجية الجماهير.

ثانيًا تحليل مصطلح الجماهير: رغم ما طرأ على علم النفس والاجتماع من أفكار ونظريات حديثة، فإن الأفكار التي طرحها غوستاف لوبون في كتابه «سيكولوجية الجماهير» أو «علم نفس الجماهير» يظل من الكتب المهمة التي ينبغي على القارئ المهتم أن يقرأها، خصوصًا أن أفكاره تبدو متأثرة ونابعة من روح الثورة الفرنسية التي تعتبر علامة فارقة في تاريخ أوروبا الحديث، خصوصاً مع ما يشهده عالمنا العربي الآن من حراك جماهيري، حيث أصبح للجماهير حضور واضح في تحريك الأحداث والتفاعل معها والتأثير فيها، ولهذا تبدو أهمية دراسة وتحليل أفعال الجماهير وما تتصف سيكولوجيتها به ، فيوضح لوبون أن مصطلح «الجماهير» يكتسب معنى جديدًا له عن معناه التقليدي عند وقوع حدث قومي عظيم، فعندها تنطمس الشخصية الواعية للفرد، لتتشكل روح جماعية عابرة ومؤقتة بدون شك، ولكنها تتمتع بخصائص محددة ومتبلورة تماماً، وعندئذ تصبح جمهورًا نفسياً له كينونة واحدة وخاضعاً لوحدة عقلية واحدة، وظاهرة أن الكثيرين من الأفراد يجدون أنفسهم في تجمع إلى جانب بعضهم البعض عن طريق المصادفة لا يجعلهم يشكلون إطلاقاً جمهوراً نفسياً، فالمقصود بالجمهور الذي يتحدث عنه لوبون يكمن في كونه ناتجاً عن تأثير بعض الانفعالات العنيفة أو التأثر بحدث قومي عظيم «كالثورات مثلا»، بحيث من الوارد أن شعباً بأكمله يمكنه أن يصبح جمهوراً بتأثير هذا العامل أو ذاك دون أن يكون هناك تجمع مرئي، ويرى لوبون أن دراسة روح الجماهير ليست بالعملية السهلة، فهي في نظره تختلف باختلاف العرق البشري وتشكيلة الجماهير، فضلاً عن طبيعة المحرضات ودرجة قوتها.

صحيح أن تركيزه على اختلاف العرق البشري ونوعية ردود فعله تجاه الأحداث الكبرى جعله ينتقد من قبل بعض العلماء المحدثين. لقد أشار لوبون إلى أن روح الجماهير تلك ستجعلهم يحسون ويفكرون ويتحركون بطريقة مختلفة تماماً عن الطريقة التي كان سيحس بها ويفكر ويتحرك بها كل فرد منهم لو كان معزولاً، ويرى أيضاً أن الاختلاف الشخصي يبدو معدوماً بين الأفراد في التفاعل مع تلك الأحداث، فلا فرق بين عالم رياضيات شهير وصانع أحذية على المستوى الفكري عند تفاعله مع الأحداث العظمى رغم الهوة الفردية السحيقة بينهما.

فهو يفسر ذلك بقوله إن

المسائل العاطفية المتعلقة بالدين والسياسة والتعاطف والتباغض والأخلاق يستوي فيها الأفراد أيا كانت مرجعيتهم، ولهذا فهو يرى أن الجماهير لا تستطيع إنجاز الأعمال التي تتطلب ذكاء عالياً، فإذا كان الأفراد المنضوون في صفوف الجمهور يقبلون بذوبان خصوصياتهم وصفاتهم الفردية حتى تتشكل صفات جديدة خاصة بالجمهور الذي أصبحوا ينتمون إليه، فكيف إذا تتشكل تلك الصفات؟

في رأي لوبون فإن هناك أسباباً عديدة، منها أن الفرد المنضوي في الجمهور يكتسب بواسطة العدد المتجمع فقط شعوراً عارماً بالقوة. أما السبب الثاني فهو العدوى العقلية، فكل عاطفة وكل فعل لدى الجمهور هما معديان بطبيعتهما، إلى الحد بأن الفرد يضحي بسهولة كبيرة بمصلحته الشخصية من أجل المصلحة الجماعية، أما السبب الثالث فهو الصفة التحريضية التي يمتلكها بعض الأفراد المنخرطين في الجمهور والتي لا تشكل عدواها المذكورة آنفا إلا أثرًا من آثارها. ويتحدث لوبون بشيء من التفصيل عن خصائص تلك الجماهير الخصوصية، فهي في رأيه سريعة الانفعال حيث يقع الفرد تحت تأثير المحرضات الخارجية بحيث يصير كالعبد للتحريضات التي يتلقاها، هذا بعكس الفرد المعزول الذي يمكنه أن يخضع لنفس المحرضات المثيرة كالإنسان المنخرط في الجمهور، ولكن عقله يتدخل ويبين له مساوئ الانصياع لها، وبالتالي فلا ينصاع، فالفرد المعزول في رأيه يمتلك الأهلية والكفاءة للسيطرة على ردود فعله في حين أن الجمهور لا يمتلكها ،إن الانفعالات التحريضية المختلفة التي تخضع لها الجماهير يمكنها أن تكون كريمة أو مجرمة، بطولية أو جبانة، وذلك حسب نوعية المحرضات، ولكنها سوف تكون قوية على نفوس الجماهير إلى درجة أن الجماهير تكون مستعدة للموت من أجلها. وهذه الصفة الحركية المتغيرة التي تتميز بها الجماهير تجعل من الصعب حكمها، وربما ذلك يفسر حالة الفوضى التي تعقب الكثير من الثورات وشعور الفرد المنخرط في الجمهور بالقوة التي لا تقاوم والذي لا تعرف أهدافه المستحيل يجعله ينصاع فورا دون تردد في اقتراف القتل والنهب إذا ما سنحت الفرصة لذلك. فالإنسان المعزول يعرف جيدًا أنه لا يستطيع أن يحرق قصرًا، وبالتالي فمجرد التفكير بذلك لا يخطر بباله، ولكنه ما إن ينخرط في الجمهور حتى يحس بالقوة الناتجة عن العدد والكثرة. ولهذا يعتبر لوبون أن الفرد المنخرط في الجمهور إنما نزل في السلم الحضاري ليصل إلى مرحلة الكائنات البدائية كما أنه غير قادر على رؤية الفروقات الدقيقة بين الأشياء، وذلك بسبب العاطفة التي تنتشر بسرعة شديدة عن طريق العدوى والتحريض تبدو سرعة تصديقه لأي شيء أمرًا مفهوماً بسبب سرعة تأثره بأي اقتراح، لهذا نجده في حالة من الترقب لتلقي أي اقتراح ومن ثم إلى تحويل الاقتراح إلى فعل، لهذا

فهو محروم من كل روح نقدية وقابل لسرعة تصديق أي شيء بشكل منقطع النظير، وهذا بالتالي يؤدي لتعصب الجماهير واستبدادها، بل وقبولها للاستبداد بعد أن أسقطت الاستبداد!.

ثم يلفت لوبون النظر إلى قوة تأثير محركي الجماهير الذين في الأغلب يمتلكون القوة في التأثير على عواطف الناس وتحريكها وهم نوعان: نوع يسعى لمصلحته الشخصية، ونوع آخر يتمثل في عظماء التاريخ من المؤسسين الحقيقيين للأديان أو المنجزات الكبرى الذين امتلكوا إيماناً حقيقياً بالمبادئ والأفكار التي سعوا لتطبيقها بين الناس. أما عن الوسائل التي يستخدمونها والمميزات التي يمتلكونها فهو يركز على عامل: الهيبة الشخصية، التي هي عبارة عن نوع من الجاذبية التي يمارسها فرد على روحنا، أو عقيدة ما أو فكرة علينا، وهناك هيبة مكتسبة تأتي عن طريق الثروة والشهرة والمنصب. أما الهيبة الشخصية فهي أقوى وأعمق وهي التي تميز بها قادة البشر الكبار أمثال المسيح(ع) والنبي محمد(ص) ونابليون وغيرهم، حيث إن نوع الهيبة التي يمتلكونها هو في أعلى درجاتها.

ومن الوسائل التي يستخدمها المحركون أو القادة للجماهير أساليب: التأكيد، والتكرار، والعدوى، وفي رأيه فإن تلك الأساليب هي أقوى من المحجات العقلية.

قد تبدو آراء لوبون صادمة عند البعض أو مخالفة للواقع الذي نعيشه اليوم، فعمر هذا الكتاب يزيد عن المائة عام، ولكن يجب ألا ننسى أن أحداث الثورة الفرنسية التي هزت عروش أوروبا والتي شهدت أحداثا دامية شديدة بعد خلع الملك المستبد ثم تأسيس مجالس ثورية متعطشة للقتل والاستبداد عاشت فرنسا لعقود بعدها في حالة بالغة الخطورة من الفوضى وعدم الاستقرار، قد أثرت على

أفكار لوبون لما شاهده من نتائج طويلة المدى بعدها، ولذلك فطبيعي أن نجده يصف الجماهير في تصرفاتها بالهمجية والبدائية، وتارة يصف الأديان بأنها الأوهام التي صنعها قادة كبار وعظام استطاعوا من خلالها تحريك الجماهير وقيادتها.

تعريف العقل الجمعي

«العقل الجمعي» أو ما يعرف بالأثر الاجتماعي المعلوماتي أيضا هو: ظاهرة نفسية تفترض فيها الجماهير أن تصرفات الجماعة في حالة معينة تعكس سلوكاً صحيحاً، سطوة أثر الجماعة على الفرد تظهر في قابلية الأفراد إلى الانصياع إلى قرارات معينة بغض النظر عن صوابها من خطئها في ظاهرة تسمى بسلوك القطيع.

نماذج من سلوكيات العقل الجمعي

في خطاب ألقي بتاريخ ٢٨ يوليو ١٨٨٥ صرح جول فيري أمام ـ سياسي فرنسي وعمدة باريس ـ البرلمان بخطاب يقول فيه أن للأعراق العليا حق على الأعراق الدنيا ويجب عليها دمجها في الحضارة، مروجاً ومعترفاً بحقيقة ووجود الطبقية العرقية بطريقة لا تغيض الطرفين، وكما هو السائد في القرن التاسع عشر حيث أنه لم ينج مفكر من الوقوع في أزمة العنصرية.

إن هذه أحد السياسات المتبعة لتوجيه الجماعات من خلال الخطابات التي تروج لأفكار بطريقة لا تبدو فيها أنها تروج لها، كذلك قد تتبع الترويج بشكله الأكثر تأثيرا عن طريق الصور مثلا كما يفعل الإعلام في الجماهير، والصور هي أكثر الأدوات تأثيراً على نفس المتلقي أو ما يسمى بالقطيع. لقد صنف غوستاف لوبون الأشخاص الذين ينتمون إلى جمهور معين أنهم هامشيون وشاذون عن المجتمع، كالذين يعانون من نقص في الانتماء، والذي هو حاجة طبقا لهرم ماسلو للاحتياجات الإنسانية، فيلجؤون للانتماء إلى فريق كروي، حيث يسميهم لوبون «القطيع، الرعاع»، وغيرها من المسميات التي تنتقص منهم.

أن تفسير لوبون لمثل هذا الاتهام هو أن الجماهير تنصهر روحها الفردية داخل جماعة لتصبح روحاً واحدة تخفض من الملكات العقلية والتمايزات الشخصية والاختلاف فيما بينها، بالقناعات والمبادئ، فيسهل عليها أن تقوم بتصرفات سلبية لا تستطيع القيام بها إن كانت وحدها، كالجماعات التي تقوم بتحرشات أو عمليات إجرامية. لذلك يقول لوبون أننا لا نستطيع تحريك جمهور إلا عن طريق عاطفته وعاطفته المتطرفة فقط، أي أن نجذبه إلى أحد التيارين، لذلك فالحيادي الموضوعي لا يمكن أن يكون داخل القطيع أبداً.

أيضاً يعتقد لوبون أن الجماهير التي هي فوضوية بطبعها تميل إلى حب السلطة القوية وتخاف من فقدانها، حيث أنها تتنمر وتنقلب على السلطة الضعيفة، وفي حال كانت السلطة تتأرجح بين هذا وذاك فإن الجمهور أيضاً يتأرجح بين الالتزام والفوضى، ولكن تبقى الغريزة الثورية والانتماء إلى قضية أمراً مهيمنا على روح الجماعة جدير بالتنويه هنا أنه ليس بالضرورة أن يكون الجمهور في مكان واحد، بل قد يكون جمهوراً خاضعاً لنفس الفكرة في مختلف الأماكن في العالم، بينما قد يجتمع العديد من الأشخاص في مكان واحد صدفة دون أن يربطهم شيء.

«العاطفة في صراع أبدي ضد العقل»

اقتباس من الكتاب

إن الجماهير غير ميالة للتأمل، وغير مؤهلة للمحاكمة العقلية. لكنها مؤهلة جدا للانخراط في الممارسة والعمل. والتنظيم الحالي يجعل قوتها ضخمة جداً. والعقائد التي نشهد ولادتها امام اعيننا اليوم سوف تكتسب قريبا نفس قوة العقائد القديمة: أي قوة الطغيانية والمتسلطة التي لا تقبل أي نقاش واي اعتراض. وهكذا نجد ان الحقوق الالهية للجماهير اخذت تحل محل القانون الالهي للملوك...

من اقواله

ـ إن معرفة فن التأثير على مخيلة الجماهير تعني معرفة فن حكمها.

ـ إذا شاع اللفظ تشعبت معانيه، بحسب معقول مستعمليه.

ـ إذا قيل أن كل ما لا يدركه العقل معجزة، فحياة كل إنسان معجزة دائمة.

ـ اكتساب المعارف التي لا يمكن استخدامها هو الوسيلة المؤكدة لتحويل الإنسان إلى متمرد.

ـ التشدد في الرأي يغلب على التسامح فيه، لأن الأول مبني على الشعور أو الدين والثاني مبني على العقل.

ـ الحياة الواعية للروح البشرية لا تشكل إلا جزءا ضعيفا جدا بالقياس إلى حياتها اللاوعية.

قيل فيه:

قيل: أننا أمام كتاب عظيم بكل ما تحمله الكلمة من معنى ، كتاب استطاع من خلاله الكاتب أن يقدم مفهوما وعرضا(كان حديثًا في وقته وممتازا حينها) وحافظ على جودته ونظرته الصحيحة المناسبة لمختلف الثقافات.

وفي المقابل قيل: يوجه نقداً إلى لوبون بسبب تأويله لبعض سلوكيات الشعب بأنها عائدة إلى العرق كقوله: "كل فرد ينتمي إلى عدة أرواح جماعية: روح عرقه، روح طبقته وروح طائفته.ففي هذا شيء من العنصرية.

أسئلة يجيب عنها بعض أساتذة الحوزة العلمية في النجف الأشرف

ملحوظة: الأجوبة وفق فتاوى المرجع الديني الأعلى

السيد علي الحسيني السيستاني(دام ظله)

السؤال:

هل هناك موارد معينة تخرج من تركة الميت وإن لم يوص بها؟

الجواب:

نعم هناك أمور تخرج من أصل التركة وإن لم يوص بها؛ وهي الحج الواجب على الميت بالاستطاعة، والحقوق المالية وهي الأموال التي اشتغلت بها ذمته كالديون والمبيع الذي باعه سلفا وثمن ما اشتراه نسيئة وعوض المضمونات، وأروش الجنايات ونحوها من الخمس والزكاة والمظالم. وأما الكفارات والنذور ونحوها فإنها لا تخرج من الأصل.

السؤال:

هل الارض تطهر اسفل الاحذية وعجلات السيارة والدراجات بالسير عليها؟

الجواب:

الارض تطهر اسفل الحذاء دون عجلات السيارة والدراجة.

السؤال:

ما حكم الزيادة من الأموال المودعة في البنوك أو المأخوذة منها؟

الجواب:

إذا كانت البنوك حكومية، فإن حكم الزيادة المعطاة فوق رأس مال الشخص هو أن يتملك الشخص نصفها ويتصدق بالنصف الآخر على الفقراء، وأما الأموال المأخوذة من البنوك الحكومية التي اشترطت الزيادة على القرض المعطى من قبلها فلا مانع من اخذها ولا يضر الزيادة المعطاة للبنك.

وأما إذا كانت البنوك أهلية فالزيادة المعطاة من قبل البنك لا تضر؛ إذا لم يشترط المودع للمال الزيادة، فتكون مثل القرض الذي يُعطى لشخص وعند إرجاعه له تكون فيه زيادة.

السؤال:

إذا صلى من كانت وظيفته القصر في الصف الاول من صلاة الجماعة

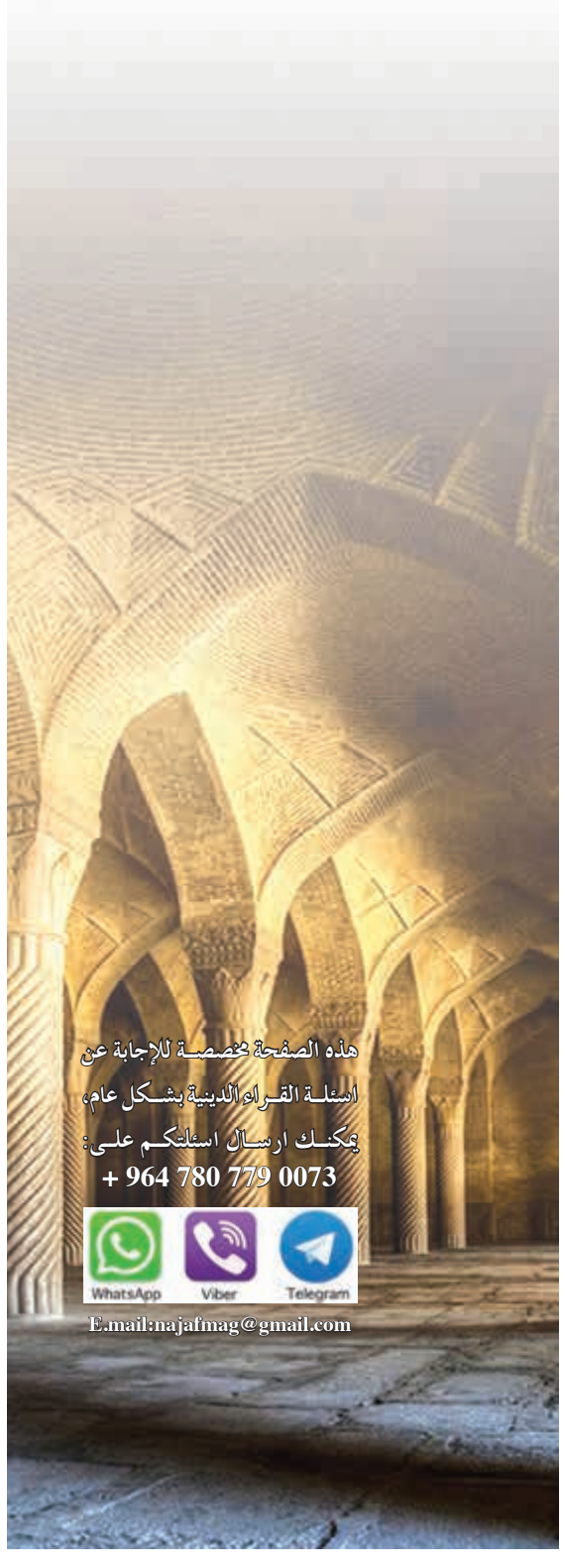

فمـا حكم من يصلـي إلى جنبه ممن كان متصلا بالجماعة بواسطته؟

الجواب:

إذا قام مـن وظيفته القصر إلى الاتيان بصلاة اخرى بلا فصل فحكم من صلى إلى جنبه صحيحة.

السؤال:

هل يجوز أكل السمك قبل موته؟

الجواب:

الأقوى عدم اعتبـار الموت في حلية أكل السمك، فيجوز بلعه حيا.

السؤال:

في (الغسالات الأتوماتيكية) يوصل إليهـا المـاء مباشرة (مـن مـاء الاسالة أو الخزان)، وكلما أغلق باب الغسالة على الملابس زودت بالماء تلقائياً.

١ ـ فهـل يتحقق تطهير الملابس التي تغسـل داخلها ثـم تشطف بمـاء جديد تلقائياً، ولو كانت متنجسة بالبول؟

٢ ـ هل يحكـم على نفس الغسالة بالطهارة أم لا؟

٣ ـ ما حكم البخـار المتصاعد الذي يتحـول إلى قطـرات ماء علـى السقف والجدران ثم تقـع على الملابس إذا كان الماء حاراً؟

الجواب:

١ ـ يتحقـق التطهـير إذا كان ذلـك بالماء المطلـق (مرتـين للمتنجس بالبول ـ ولـو بالكثـير علـى الأحـوط ـ ومرة واحدة لغيره)، ولا يقدح كون انفصال ماء الغسالة أثنـاء التجفيف بواسطة قوة الدوران لا العصر.

٢ ـ نعم تطهر بالتبعية.

٣ ـ لا يؤدي ذلك إلى تنجس الملابس في مورد السؤال.

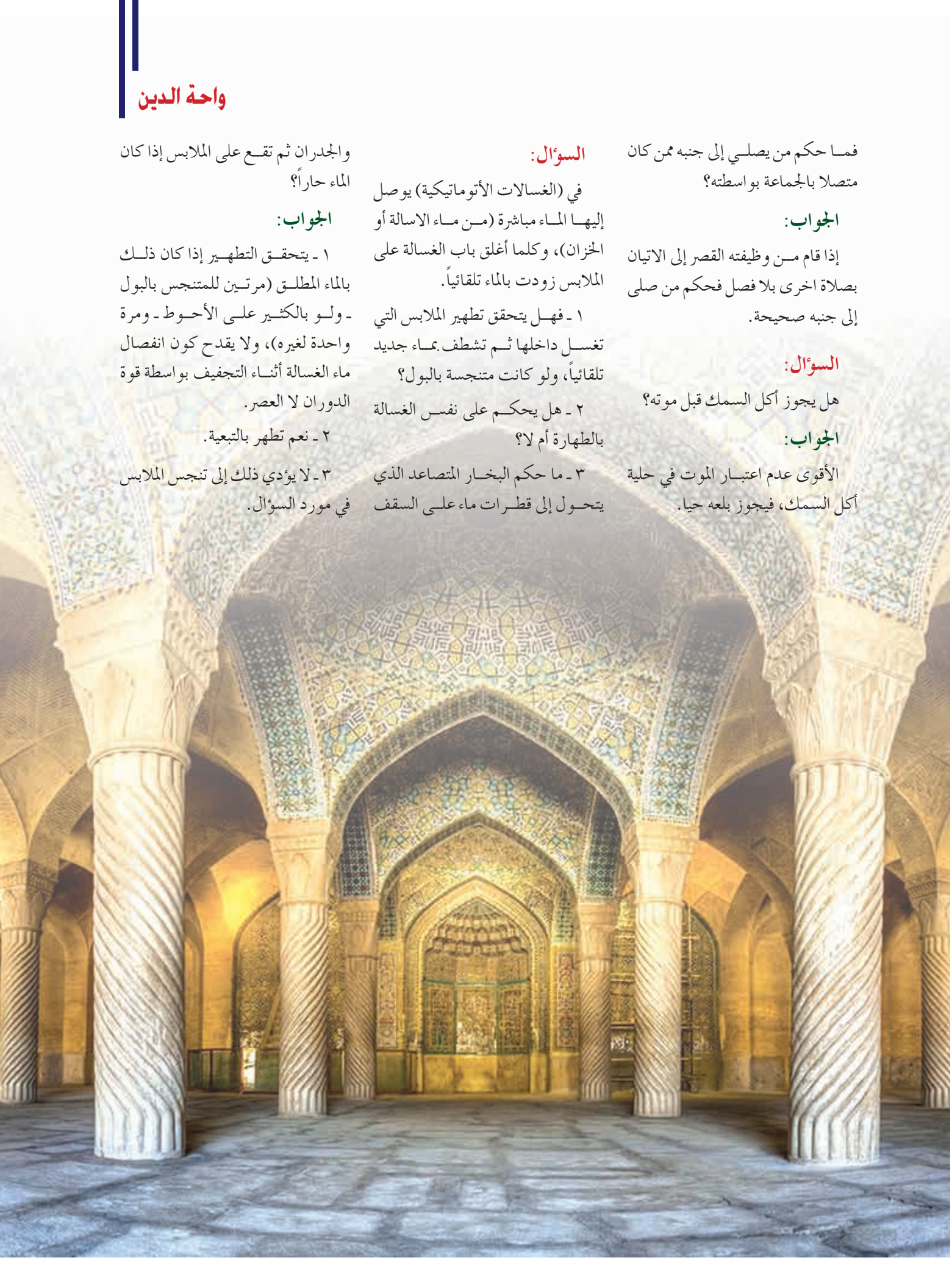

قدسية العهد في الاسلام

مقتطفات من كتاب اتجاه الدين في مناحي الحياة لسماحة السيد محمد باقر السيستاني

إن الإسلام أكّد على قداسة العهد والالتزام مع الآخرين - بعد إبرامه - كقيمة إنسانية ودينية كبرى، ينبغي أن يدين بها الإنسان المسلم فيما بينه وبين الله سبحانه، ولا يحق له نقضها، ولا الالتفاف عليها، بتأويل مدلولها، وتحوير مضمونها.

وتوضيح ذلك: أن العهد يمكن أن ينظر إليه بمنظورين مختلفين..

الأول: أن يتلقى كأداة سياسية بحتة لحفظ مصلحة الطرف في ظروف ضعفه وعدم قدرته على مواجهة الطرف الآخر. وعليه: إذا شعر بالقوة، ووثق بالقدرة على الإضرار بالطرف الآخر لم يلتزم به ونقضه.. إما نقضاً جزئياً - بالتخلف عن بعض حدوده وتطبيقاته - أو نقضًا كلياً - بعدم مراعاته أصلاً.. وهذا هو الطابع الملحوظ في كثير من المعاهدات بين الدول في العصر الحاضر.

الثاني: أن ينظر إليه كقيمة إنسانية خطيرة، يجب على الإنسان رعايتها والوفاء بمقتضاها - أياً كان - ما دام الطرف الآخر يلتزمه؛ لأن من التزم بشيء فقد ربط كل وجوده وإنسانيته بالوفاء بهذا الشيء، فإن نقضه فقد نقض إنسانيته، وارتكب خطيئة كبيرة.

تأكيد القرآن الكريم على الوفاء بالعهد

وقد كرّر وجوب الوفاء وأداء الأمانة في آيات كثيرة في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾، وقال: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا﴾، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾، وفي الحديث عن النبي(ص): «المسلمون عند شروطهم»، بل قد جعل العهد من جملة الأخلاق الإلهية فقال جل شأنه: ﴿قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ﴾، بل إنه أوفى المعاهدين، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾.

وقد طبق الدين هذه النظرة في شأن الالتزام مع الآخرين تماماً - كما يظهر بملاحظة القرآن الكريم - فأكّد على المسلمين الالتزام بعهودهم مع الآخرين، وعدم الاعتداء عليهم، وإن شعروا بالقوة، وأمنوا من تضررهم بالخيانة.. كما هو الحال في السنة السابعة للهجرة - قبيل فتح مكة - حيث قويت شوكة المسلمين، وكان بإمكانهم نقض العهد مع المشركين للمسلمين من قبل، واضطهادهم من جهة دينهم، واخراجهم عنها.. فجاءت الآيات الشريفة في هذه المناسبة - وغيرها - تؤكد على ضرورة الالتزام بالعهد معهم، وعدم الاعتداء عليهم بحال. قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَى مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾، وقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾.

الالتزام الشديد من النبي(ص) بالعهد

ولقد كانت عناية النبي(ص) بالوفاء بالعهد أمراً عينياً ملحوظاً في تعامله مع المشركين والمنافقين - كما يظهر بملاحظة ما ورد في التاريخ - رغم أنهم لم يكونوا يلتزمون به.. حتى كثر التبرّم منهم في الآيات الشريفة.

وفي السيرة النبوية مواقف عديدة تمثل اهتمامه بالوفاء.. فقد حث النبي(ص) أبا بصير عتبة من أسيد - وكان قد أسلم، وحبس في مكة، ثم فرّ منهم - على الرجوع إلى المشركين؛ من جهة معاهدته معهم؛ فقال له: «يا أبا بصير.. إنّا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد عملت، ولا يصلح لنا في ديننا الغدر، وإنّ الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً».

صابون جود الكفيل

يستحق

التجربة

Joud

الجـــود

مستخلص

من زيت الزيتون البكر

الكفالة المهنية

فرصة من فرص الخير

بعد أن قطعت أشواطاً كبيرةً في مشاريعها الهادفة إلى توفير أعلى مستويات الرعاية لليتامى المحتضنين لديها، وتزامناً مع عيد الغدير الأغر؛ أطلقت مؤسسة العين للرعاية الاجتماعية مبادرة الكفالة المهنية التي تتيح فرصة إيجاد مهنة أو حرفة تمكن اليتامى من الحصول على مصدر للعيش الكريم يستطيعون من خلاله مواصلة مسيرة حياتهم بكل ثقة وثبات - بعد اخفاقهم دراسياً - والمشاركة من خلالها في رفد المجتمع بطاقات شبابية فاعلة. حيث أنشأت المؤسسة لهذا الغرض عدداً من مراكز التدريب المهني التي تتكفل بإنجاز هذه المهمة المباركة ومنها مركز الأنجم الزاهرة الذي باشر بتدريب اليتامى وتأهيلهم في مختلف الورش التي أعدّت إعداداً جيداً منذ حزيران (2018م) وإخضاعهم لدورات تدريبية على يد عدد من المدربين المهرة، إذ أقيمت في تلك الورش تدريبات على مهن مختلفة لكلا الجنسين شملت الجانبين النظري والعملي، فضلاً عن بعض المحاضرات في المهارات الحياتية، وإدارة المشاريع وأخلاقيات المهنة والإرشاد الديني.

كل ذلك في مبادرة الكفالة المهنية المباركة التي أطلقتها مؤسسة العين ليغتنم المؤمنون هذه الفرصة المباركة ويدعموا اليتامى المحتضنين لديها وهم يشقون طريق النجاح ويتسلقون سلم الرقي في مجتمعهم، وذلك عن طريق تبني تكاليف صرفيات التدريب المهني لأحد اليتامى المحتضنين في ورش مركز الأنجم الزاهرة بشكل كامل (كلف التدريب + صرفيات المتدرب)، أو التبرع بعنوان المساهمة في الكفالة المهنية بمبلغ قدره (25000) دينار عراقي، كما يمكن للسادة المتبرعين المساهمة في صندوق القرض الحسن الذي يُعطى للمتدربين وفق تقييم لجنة مختصة في المؤسسة، وذلك بعد أن يتعهد المتدرب -وفق عقد قانوني- بإرجاع مبالغ القرض الحسن بشكل ميسر ليتم إعطاؤها لمتدرب آخر.